الحياة الدنيا

الصغرى والكبرى

حقيقة البرزخ والموتتين

وجدي حسن سري

باحث في الفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل والنبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد.

لقد فتح الله عليَّ بهذه المعرفة، وتمعنت فيها كثيراً وتبينت لي الحجج والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولما تم اقتناعي ووعيي لها استشعرت أنه من واجبي تبيانها وبشكل مبسط لكافة الناس ... وهدفي هو إظهار هذه الحقائق والمفاهيم واضحة جلية ...

فإذا استوعب الناس ما بهذا الكتاب واستوضحوا هذه المعاني بجلاء فقد أديت الأمانة وحققت الهدف.

ثم بعد ذلك ... فمدى اقتناع كل قارئ هو أمر من أموره الشخصية التي لايفرضها عليه أحد، لأن من حق كل مسلم أن يبحث ويبحث ويقتنع بما يراه من حجج وبراهين ... ولكن بشرط ألاّ ينحرف أو يخرج عن إطار الكتاب والسُنَّة، لأن القرآن الكريم يشرح بعضه بعضاً وتفسره الأحاديث النبوية الصحيحة السند.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ....

وختاماً .. قل كل يعمل على شاكلته ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا...

الحيـــــاة الدنيـــــا
الصغرى والكبرى

الحياة الدنيا الصغرى والكبرى

يقول الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٲتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ (الطلاق ٠١٢)

ــــ خلق الله الدنيا من سبع سماوات وسبع أرضين

ويقول الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً‌ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ‌ۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ (٢) ﴾ (الأنعام ٠٠٢)

- وخلقنا الله وقدر لنا في هذه الدنيا حياتين:

قضى أجلاً : أي الحياة الدنيا الأولى (منذ الخلق وينتهي أجلها بالموت).

وأجل مسمًّى عنده : أي الحياة الدنيا الثانية (عند الله منذ الموت، وينتهي أجلها بقيام الساعة).

ويقول تعالى :

﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَـٰوَٲتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى‌ۚ ﴾

(الأحقاف ٠٠٣)

ــــ ثم تنتهي الدنيا بقيام الساعة لأن الله قدّر لها أجلا مسمّى تنتهي بعده.

ويقول تعالى :

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَـٰوَٲتُ‌ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٲحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (٤٨) ﴾

(إبراهيم ٠٤٨)

- وعند انتهاء الأجل المسمّى للدنيا (السماوات والأرض) بقيام الساعة تتبدل (الدنيا) السماوات والأرض وما بينهما استعداداً للدار الآخرة والخلق الجديد " لحياة أبدية "

ولأن الدنيا لا تنتهي إلا بقيام الساعة فنحن نعيش فيها حياتين :

- منذ الخلق حتى الموت.

- منذ الموت حتى قيام الساعة

أي: **الحياة الدنيا الأولى.** ، **والحياة الدنيا الثانية.**

ونظراً لصغر الحياة الدنيا الأولى في مدتها وموقعها بالنسبة للحياة الدنيا الثانية، أطلقت على الأولى الصغرى وعلى الثانية الكبرى.

إذن قدر الله لنا في هذه الدنيا حياتين :

الحياة الدنيا الصغرى

الحياة الدنيا الكبرى

ومن الأحاديث الشريفة التي توضح لنا هذه الحياة الدنيا الكبرى قوله ﷺ :

" إن أرواحكم تُعْرَض إذا مات أحدكم على عشائركم وموتاكم ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه يستريح فإنه في كرب . ثم يسألونه : ما عمل فلان؟ وما عملت فلانة؟ فإن ذكر خيرًا حمدوا الله واستبشروا ، وإن كان شرًّا قالوا : اللهم اغفر له، حتى إنـــهم ليسألون: هل تزوج فلان ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ قال : فيسألونه عن رجل مات قبله فيقول : ذاك مات قبلي ، أما مر بكم ؟ فيقولون : لا والله، فيقولون : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية حتى أنهم ليسألونه عن هر البيت ".[١]

[١] الطبراني في المعجم الكبير، جزء ٤، ص ١٢٩.

إذن فموت الإنسان لا يعني خروجه من الدنيا التي لا تنتهي إلا بقيام الساعة، بل يعني انتقاله في الدنيا نفسها من حياة التكليف لحياة الجزاء المؤقت عند الله.

ملحوظة :

يقول بعض المفسرين : إن كل إنسان يعيش حياته الدنيا الأولى، وعند الموت تنتهي الدنيا بالنسبة له وتبدأ آخرته.

التعليق : -كما رأينا – إن الله وضح لنا في آياته البينات أن الآخرة لا تبدأ إلاّ :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم ٠٤٨)

وهذا لا يحدث إلاّ عند قيام الساعة.

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم ٠٤٨)

إذن فالدنيا ستظل قائمة سواء بالنسبة للأحياء أو للأموات.

فالأحياء : يقضون حياتهم الدنيا الأولى التكليفية حتى موتهم.

والأموات : يقضون حياتهم الدنيا الثانية للجزاء المؤقت (عند الله) حتى قيام الساعة.

أليس قول الله تعالى :

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(الواقعة ٠٦٠-٠٦٢)

يعني أن لنا نشأتين : الأولى التي نعلمها وهي: حياتنا الدنيا التكليفية، والأخرى: التي لا نعلمها قدرها الله لنا بعد الموت للجزاء المؤقت عنده.

الحكمة من معراج الرسول ﷺ

أليست الحكمة من معراج الرسول ﷺ للسماوات السبع أن يطلعه الله على مظاهر الحياة الدنيا الكبرى، حيث رأى أنبياء الله والمنعمين من عامة المؤمنين والمنعمين من الشهداء ورأى المعذبين من العاصين في السبع أرضين كل حسب معصيته؟

أليست دليلا على حقيقة الحياة الدنيا الكبرى لتذكير الناس بأن نهاية الحياة الدنيا التكليفية يتبعها حياة دنيا كبرى للجزاء المؤقت عند الله؟

لقد تناول السادة العلماء والمفسرون معجزة الإسراء والمعراج بكثير من البحث والتعقيب لإثبات هذه الحقيقة المعجزة، وكيفية حدوثها، وتصدُّوا بالحجة والبرهان لكل مشكك في صحتها، وما زال بعض العلماء يناقش :

- هل أسرى به بالروح أم بالجسد ؟
- هل رأى ربه جلَّ وعلا أم رأى جبريل عليه السلام ؟
- وكيف صلّى بالأنبياء و لم تكن الصلاة فُرِضَت ؟

وهكذا دواليك عام بعد عام نحتفي بها وحتى اليوم ونحن في العام الهجري الخامس والعشرين من القرن الخامس عشر الهجري نعيد ما سبق ذكره .... ولا جديد.

والأمر المثير للدهشة أن أحدًا من العلماء لم يتطرق للعبرة المستوحاة من معجزة الإسراء والمعراج، والتي هي الأصل في هذا الحدث، واعتبروا المعجزة احتفاء السماء بالرسول ﷺ صاحب المقام المحمود، وسيد بني آدم يوم البعث، وكذلك فرض الصلاة وكفى ...

مما دفعني للكتابة لأثير الانتباه لأصل الحدث والحكمة المبتغاة من ورائه كما بينها الله لنا في آياته البينات.

يقول الله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾

(الإسراء ٠٠١)

الشرح :

أسرى الله بمحمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه آياته المحجوبة عنّا.

و يقول الله تعالى في سورة النجم :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ ﴾ (النجم ٠٠١-٠١٠)

الشرح :

أرسل الله جبريل عليه السلام ليوحي للرسول ﷺ.

يقول الله تعالى:

﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ ﴾ (النجم ٠١١-٠١٢)

الشرح :

أوحى جبريل عليه السلام لفؤاد محمد ﷺ، يعني: أوحى له نائمًا عن آيات الله المحجوبة عنّا.

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥

إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ
ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم ٠١٣-٠١٨)

الشرح :

ما رآه الرسول ﷺ بفؤاده نائمًا رآه مرةً أخرى (الرؤية الأولى والثانية كانت لجبريل عليه السلام على صورته الحقيقية) الذي أطلعه على هذا الغيب من آيات الله الكبرى، سواء في منامه : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم ٠١١)

أو يقظًا عند سدرة المنتهى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (النجم ٠١٧)

ويقول الله تعالى في سورة التكوير :

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ ﴾
(التكوير ٠٠١-٠٠٦)

الشرح :

يصف الله لنا ما يحدث يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ ﴾ (التكوير ٠٠٧)

الشرح :

أي: بعث الموتى، بإنبات عجب الذنب في القبور، وعودة النفوس (الروح) للموتى، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾
(إبراهيم ٠٤٨)

﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ ﴾ (التكوير ٠٠٨)

الشرح :

يصف الله لنا يوم الحساب.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾
عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ ﴾ (التكوير ٠١١-٠١٤)

الشرح :

يصف الله لنا الجزاء الأبدي في الدار الأخرة.

وقوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ
إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ (التكوير ٠١٥-٠١٨)

الشرح :

يقسم الله تعالى قسمًا مُغَلَّظًا بما خلق في الكون.

اطلاع الرسول ﷺ على مظاهر الحياة الدنيا الكبرى

يقول الله تعالى في سورة التكوير عن اطلاع الرسول على مظاهر الحياة الدنيا الكبرى:

بسم الله الرحمن الرحيم	الآية	الشرح
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾	١٩	قول جبريل عليه السلام
﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ ﴾	٢٠	أي له مكانة مرموقة عند الله سبحانه وتعالى.
﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ ﴾	٢١	مطاع في الملأ الأعلى، أمين بتوصيل الرسالة (أي لا يحيد عن أمر الله بتوصيل رسالته للرسول ﷺ)
﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾	٢٢	أي ما رآه الرسول ﷺ من الغيب حقيقة واقعة وليس به جنون حتى تشُكُّوا في صدقه.
﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ ﴾	٢٣	أي رأى جبريل – عليه السلام – على صورته الحقيقية.
﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ ﴾	٢٤	الذي أطلعه على الغيب
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ ﴾	٢٥	والذي أوحي به ليس من وحي الشيطان
﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ ﴾	٢٦	فأين : جملة معترضة بين ما سبقها وبين قول الله تعالى : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ ﴾

	الآية	الشرح
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٧	المقصود : أن رؤية الرسول ﷺ آيات الله بصحبة جبريل عليه السلام هو تذكير للعالمين **بالمكان** : أين تذهبون بعد الموت. كما رأينا أن هذا المقر في الدنيا الكبرى إما في السبع أراضين للعاصين، أو في جنة المأوى لعامة المؤمنين أو في دار أحسن وأعلى (دار الشهداء)، وكذلك في الدار الآخرة بعد الحساب إمّا في الجنة أو في النار.
﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	وهذا التذكير لمن شاء أن يكون على بينة من أمره ثم يستقيم، ليحصل على أعلى الدرجات بعد الموت في الحياة الدنيا الكبرى دار الجزاء المؤقت وفي الدار الآخرة دار البقاء.
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	ولله الأمر من قبل ومن بعد فهو سبحانه وتعالى الذي يهدي من يشاء لصراطه المستقيم ...

ملخص ما سبق ذكره :

يوضح الله تعالى لنا في هذه الآيات الكريمة أن ما يصرح به الرسول ﷺ عن رؤيته لآيات الله في السماوات والأرض صحبة جبريل عليه السلام هي حقيقة واقعة من الغيب المحجوب عنّا وقد رآها مرتين:

مرة في منامه : و لم تكن أضغاث أحلام من وحي الشيطان.

ومرة أخرى يقظًا : وليس به جنون حتى يُشَكّ في صحة ما رآه.

والمقصود هنا من كشف الحجاب عن الرسول ﷺ لرؤية الغيب الذي ينتظرنا بعد الموت، هو تذكير لمن أراد أن يكون على بينة من أمره بما ينتظره في الحياة الدنيا الكبرى، فيستقيم لينال أعلى الدرجات يوم الحساب في الدار الآخرة، والله وحده هو الهادي إلى صراطه المستقيم.

ولذلك فعند عودة الرسول ﷺ من الإسراء والمعراج قام خطيبًا وقال :

"يا معشر قريش اعلموا أن الله تعالى أسرى بي في هذه الليلة إلى بيت المقدس ثم عرج بي إلى السماوات السبع، وشاهدت الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ورُفِعْتُ إلى العرش، ودُسْتُ بساط النور، وخاطبت الحق وخاطبني، ورأيت الجنة والنار.[1]

وتصديقًا للرسول ﷺ قال الله تعالى :

﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم ٠١٢-٠١٨)

---

[1] مسلم (كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله) جزء ١، ص ١٤٨، مطولا.

رؤيا الرسول ﷺ قبل الإسراء والمعراج

(من صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، حديث جزء ١٢ ص ٤٣٨)

حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال: حدثنا أبو رجاء، عن سمرة بن جندب . قال: كان النبي ﷺ إذا صَلَّى صلاةً أقبل علينا بوجهه، فقال: "**من رأى منكم الليلة رؤيا؟**" قال: فإن رأى أحد قصَّها، فيقول: "**ما شاء الله**" فسألنا يومًا: "**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**" قلنا: لا، قال: "**لكنِّي رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة** :

فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كَلُّوبٌ من حديد – قال بعض أصحابنا عن موسى – : **أنه يُدْخِلُ ذلك الكَلُّوب في شدقِهِ حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقِهِ الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقُهُ هذا فيعود فيصنع مثله . قلت ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا ...**

حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهرٍ أو صخرةٍ فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه.

قلت ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنُّور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقَّد تحته نارًا فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراه.

فقلت ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهرٍ من دمٍ فيه رجل قائم على وسط النهر (وقال يزيد ووهب بن جرير بن حازم) وعلى شط النهر رجل بين

يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردَّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان.

قلت ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى إذا أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة وبين يديه نار يوقدها. فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان.

ثم أخرجاني منها .. فصعدا بي الشجرة .. وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب قلت طوفتماني الليلة، فأخبراني عمّا رأيت .قالا: نعم ...

- أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة.

- والذي رأيت يشدخ رأسهُ، فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار . يفعل به إلى يوم القيامة.

- والذي رأيته في الثَّقب فهم الزناة.

- والذي رأيته في النهر آكلوا الربا.

والشيخ في أصل الشجرة (ابراهيم عليه السلام) والصبيان حوله أولاد الناس.

والذي يوقد النار مالك خازن النار.

والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين.

أمّا هذه الدار فدار الشهداء.وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا: ذاك منـــزلك قلت دعاني أدخل منـــزلي

قالا إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منـــزلك.[1]

(صدق رسول الله ﷺ).

فالله سبحانه وتعالى قد أطلع الرسول ﷺ على هذا الغيب أولاً في منامه؛ حتى يمهد له تصور هذا الحدث الجلل، ويمهد لأصحابه تقبله فشتان بين الحياتين الصغرى والكبرى لا من حيث الفرق في النعيم ولا من حيث الفرق في العذاب.

ثم يطلعه الله سبحانه وتعالى على هذا الغيب المحجوب عنّا يقظًا في ليلة الإسراء والمعراج رؤية عين واقعًا.

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١ ﴾

(الإسراء ٠٠١)

فيتحقق منها ويزداد يقينًا ليعود ويُعلن للعالمين أين سيذهبون بعد الموت؟ وما ينتظر الصالحين وما ينتظر العاصين؟ ويذكرهم ليكونوا على بينة من أمرهم لمن أراد أن يستقيم ...

فالإسراء والمعراج حدث جلل ونعمة من نعم الله علينا أمة محمد ﷺ أن ذكرنا بالحقائق التي سنواجهها بعد الموت بفضل الرسول الأمين الرحمة المهداة للعالمين.

[1] البخاري (كتاب التعبير، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، حديث جزء ١٢، ص ٤٣٨).

البرزخ والحجر المحجور

أطلق السادة المفسرون على الحياة الدنيا الكبرى " الحياة البرزخية " أو " الحياة في البرزخ ".

وقد استدلوا لذلك واستنبطوا الاسم من سورة المؤمنون حيث يقول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٩٩-١٠٠)

وحتى نستوضح مدى صحة هذا الاسم وتجنباً للتفسير والتأويل بالرأي سنحاول دراسة الآيتين السابقتين وتأويلهما من الكتاب والسنة؛ لأن القرآن يشرح بعضه بعضاً وتفسّره أحاديث الرسول ﷺ :

أولاً : توضيح معنى كلمة برزخ من آيات الله البينات:

ذكر الله تعالى كلمة برزخ في ثلاث سور :

- الرحمن ٢٠
- الفرقان ٥٣
- المؤمنون ١٠٠

(١) قال الله تعالى في سورة الرحمن :

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الرحمن ٠١٩-٠٢١)

البرزخ هنا معناه حاجز بين البحرين المختلفين في درجة الملوحة والكثافة: فهو

يمنع طغيان أحد البحرين على الآخر وتغيير صفاته، فالمياه بالبحر الأول تنتقل للبرزخ حيث تتماثل في صفاتها مع مياه البحر الثاني، فتنتقل إليه دون أن تغيره وبالمثل يحدث لمياه البحر الثاني حيث تنتقل للبرزخ، فتأخذ صفات البحر الأول وتنتقل إليه متماثلة في صفاته، وهذا هو معنى ﴿ يَلۡتَقِيَانِ﴾ ... ﴿ لا يَبۡغِيَانِ ﴾

أي: عندما يلتقيان بفضل البرزخ لا يُغير أحدهما الآخر، (دراسة البرازخ قام بها عالم البحار الفرنسي كوصطو).

إذن: فالبرزخ هو حاجز بين البحرين لأن الله تعالى يقول :

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

(النمل ٠٦١)

(**٢**) وقال الله في سورة الفرقان :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الفرقان ٠٥٣)

وهنا يزيد الله توضيحاً لنا للحاجز بقوله تعالى: ﴿ بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾

فالبرزخ : هنا معناه بالمثل : حاجز يمنع طغيان البحر المالح على النهر العذب أو العكس فلا يغير أحدهما الآخر بفضل هذا البرزخ. (الذي يحدث فيه نوع من التقليب لمياه البحر فتصبح عذبة متجهة للنهر، ولمياه النهر فتصبح مالحة متجهة للبحر).

الحجر المحجور : عندما تصب مياه النهر العذب في مياه البحر المالح تتكون منطقة من المياه تختلف في تكوينها عن مياه النهر ومياه البحر ويعيش فيها أنواع من

الأسماك لا يمكن لها أن تعيش خارجاً عن المنطقة كما أن أسماك البحر وأسماك النهر لا يمكن لها كذلك العيش في هذه المنطقة ولذلك سميت المنطقة " بالحجر المحجور ".

أي: حجراً على الأسماك التي بداخلها الخروج منها.

ومحجورًا على الأسماك التي بخارجها الدخول فيها.

ونستنتج من هاتين الآيتين الكريمتين المتعلقتين باختلاط المياه المختلفة التكوين أن:

البرزخ : حاجز يمنع طغيان بحر على الآخر عند الالتقاء.

الحجر المحجور : منطقة منعزلة بين البحرين يعيش فيها مخلوقات لا تستطيع العيش خارجها، فهي بمثابة السجن لا يمكن الخروج منه.

وحتى يقرب الله لنا الفهم والإدراك فقد ذكر لنا في آياته البينات.

البرزخ : بالنسبة للعاصين في سورة المؤمنون (٩٩ – ١٠٠)

الحجر المحجور : بالنسبة للعاصين في سورة الفرقان (٢٢- ٢٤)

ليوضح لنا كيف يعاقب الكافرين عند انتقالهم من الحياة الدنيا الصغرى إلى الحياة الدنيا الكبرى (عنده).

(٣) وقال الله تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٩٩-١٠٠)

ثانيا : توضيح معنى قول الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾

على من تعود كلمة أحدهم ...؟

﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

من الذي يقول عند الموت لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ... ؟

من يتتبع قراءة سورة المؤمنون يتبين له مِنَ المعنى العامِّ للسُّورة أن الله سُبحانه وتعالى يقص معاناة الرسل من الكافرين من الآية (٢٣) حتى الآية (٨٣)، ثم يبين الله لرسوله ﷺ كيف يواجه الكافرين بالحجة من الآية (٨٤) حتى الآية (٩٨) ثم يجد قول الله تعالى في الآيتين ٩٩-١٠٠ :

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

فكما نرى أن كلمة ﴿ أَحَدَهُمُ ﴾ وكلمة ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ لا تعود إلا على الكافرين الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة من سورة المؤمنون، تماماً كما هو الحال في قوله تعالى:

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (النساء ١٨)

فكما ترى أيها القارئ: من المقصود هنا بقوله تعالى: ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ هل كل الناس ...؟

طبعًا لا ... بل المقصود فقط الذين يعملون السيئات والذين يموتون وهم كفار.

إذن فأول شيء ينتظرهم عند الموت هذا البرزخ.

فعند الموت يرون أن الله حق، وأن هناك حسابا وعقابا فيندمون ويطلبون العودة للدنيا الصغرى، ولكن الله يأبى وقد أعد لهم العقاب الأول برزخًا يمنعهم العودة ويحدث فيه التهيؤ للحجر المحجور مستقرهم الذي يتلقون فيه شتى أنواع العذاب في صورهم البشعة في أسفل سافلين حتى يوم البعث.

ثالثا : توضيح معنى قول الله تعالى:

﴿ .. قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

(المؤمنون ٩٩-١٠٠)

الذي يقول عند الموت: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ هو من كان لا يعمل أعمالاً صالحة في الحياة التكليفية، وهم المغضوب عليهم والكافرون، أما المؤمن فعند موته يبشر بالجنة ويفرح بلقاء الله وبمصيره، فلا يمكن أن يقول: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر ٢٧-٣٠)

ومصداقًا لقوله ﷺ :

" من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه "

وقالت عائشة رضي الله عنها (أو بعض أزواجه) : إننا لنكره الموت ، قال: **ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت ، بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله ، وعقوبته فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه.**[1]

وقوله ﷺ :

" ما من عبد يموت له عند الله خير يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا وإن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى " [2]

فكما نرى فإنه حتى الشهيد لا يقول : رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، بل يقول : رب ارجعون لعلي أستشهد مرات ومرات في سبيلك.

روى ابن جريح عن النبي ﷺ أنه قال للسيدة عائشة – رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا ﴾

(المؤمنون ٩٩–١٠٠)

إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول: قُدمًا إلى الله تعالى.

---

[1] البخاري (كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله) جزء ١١، ص ٣٥٧.

[2] الترمذي (رقم ١٦٤٣) وقال: حسن صحيح.

وأما للكافر فيقال : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : أرجعون لعلّي أعمل صالحًا.[1]

ولذلك عندما نقرأ آية ذكر بها الموت أو الحياة فعلينا بالتحقق بمن المقصود العاصين أم المؤمنين ... لماذا؟

لأن الله سبحانه وتعالى فرق بين المؤمن والكافر سواءً في الموت أو في الحياة بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية ٠٢١)

فعند موت المؤمن :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت ٠٣٠-٠٣٢)

وعند موت الكافر :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٩٩-١٠٠)

---

[1] تفسير الطبري (جزء ١٨ ، ص ٥٢).

ويقول الله تعالى في سورة الفرقان :

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ ﴾ (الفرقان ٠٢٢-٠٢٤)

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ أي: عند موت الكافرين تقول لهم الملائكة :

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي: تسجنهم في السبع أراضين لتلقى شتى أنواع العذاب حتى يوم القيامة.

وفي هذا الصدد قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – :

" ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم، حيّة عند رأسه وحية عند رجليه يقرضانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله فيه :

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠٠)

ولأن البرزخ والعذاب لا يخص سوى الكافرين ، يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنفال ٠٥٠-٠٥١)

أما المؤمنون : فيوم يرون الملائكة تبشرهم بالجنة ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ ﴾ (الفرقان ٠٢٤)

وفي هذا الصدد قال ﷺ عن شهداء أحد :

" فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلّغ إخواننا عنّا أنا أحياء في الجنة نرزق " [1]

وفي حديث آخر :

" إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه" [2]

فكما ترى أيها القارئ ما يقابله المؤمن والكافر عند موته:

المؤمن : طائر كالملائكة حر الحركة مُنَعَّم، وخير مستقرًا وأحسن مقيلاً، حتى يوم القيامة ومبشر بالجنة.

العاصي والكافر : مقيد ومحجوز بالبرزخ، وسجين في الحجر المحجور لتلقي شتى أنواع العذاب حتى يوم القيامة، ومبشر بالنار.

وهكذا يتضح لنا الخطأ الفادح في تسمية الحياة الدنيا الكبرى بالحياة البرزخية، لأنه كما رأينا في هذا البحث أن البرزخ والحجر المحجور هما عقابان لأهل المعاصي والكافرين، ومقرهم لتلقي شتى أنواع العذاب في السبع أرضين حتى يوم القيامة.

أما المؤمنون : فليس لهم برزخ ولا حجر محجور؛ لأنهم أحرار ولهم المقدرة على الطيران كالملائكة، ومقرهم في السماء السابعة ينعمون نعيمًا مؤقتًا حتى يوم القيامة.

---

[1] أبو داود (كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة) جزء ٣، ص ١٠٩١.

[2] مسند أحمد، جزء ٣ ، ص ٤٥٥، اسناد صحيح.

والشهداء : أحرار سواء في السماوات أو في الأرض، يطلعون على أعمالنا في الدنيا الصغرى ولا نشعر هم :

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

(البقرة ١٥٤)

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة ١٠٥)

أي: أن أعمالنا في الدنيا الصغرى مراقبة من الرسول ﷺ والشهداء من المؤمنين، وعند انتقالنا للدنيا الكبرى سينبؤنا الله بما كنا نعمل.

فالمؤمنون يقضون حياتهم الدنيا الكبرى في نعيم مؤقت، والكافرون يقضون حياتهم الدنيا الكبرى في عذاب مؤقت.

ويوم تقوم الساعة الذين سعدوا في الحياة الدنيا الكبرى يدخلون الجنة، والذين شقوا في الحياة الدنيا الكبرى يدخلون النار ...

وذلك مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ. ﴾

(هود ١٠٤-١٠٥)

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود ١٠٥)

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (هود ١٠٦)

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود ١٠٨)

يقول الله تعالى عن المؤمنين :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

(البقرة ٠٢٥)

– معنى هذا أن المؤمنين عندما يدخلون الجنة يرزقون بثمار الجنة المختلفة، فيتذكرون النعيم المؤقت في حياتـــهم الدنيا الكبرى، ويقولون : هذا الذي رزقنا به من قبل ... لأنهم يجدونه متشابهًا.

ويقول الله تعالى عن الكافرين :

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (المؤمنون ١٠٧–١٠٨)

هنا يناجي أصحاب الجحيم ربهم بأن يخرجهم من النار وقد كانوا من قبل في الحياة الدنيا الكبرى معذبين ومعروضين عليها.

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر ٠٤٦)

وبالمثل كما قال الله تعالى في سورة الرحمن:

بالنسبة لأصحاب النار يوم القيامة : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ

بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ (الرحمن ٠٤١)

- أي يقذفون في الجحيم ...

وفي الحياة الدنيا الكبرى : ﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الرحمن ٠٤٣-٠٤٤)

- وقد كانوا يعرضون عليها ويطوفون بينها قبل البعث.

وبالنسبة لأصحاب الجنة يوم القيامة:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن ٠٤٦)

- (أي: جنة الخلد)

وفي الحياة الدنيا الكبرى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الرحمن ٠٦٢)

(أي: جنة الدنيا الكبرى)

وخلاصة لذلك

يجب أن نفرق بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار كما وضحتها لنا آيات الله البينات :

- سواء في موتـــهم
- أو في حياتـــهم الدنيا الكبرى
- أو في حسابهم يوم القيامة.

وبذلك يكون البرزخ والحجر المحجور عقابا لأصحاب النار. وحاشى لله أن يمس به من قريب أو بعيد أصحاب الجنة.

حقيقـــــــة

الموتة الواحدة و الموتتين

يطيب لي أن أوضح هنا الفرق بين :

الخلق، والإحياء، والموت

الخلق : هو إيجاد شيء لم يكن موجودًا.

خلق الله آدم، أي سواه وأوجده، ولم يكن موجودًا لا حيًّا ولا ميتًا من قبل. وخلق الله الناس جميعًا من ذكر وأنثى، أي لم يكونوا موجودين قبل ذلك وبتلاقي الذكر والأنثى يخلقهم الله وينشئ لهم الحياة فلا نقول: إن الله أحياهم؛ لأنهم لم يكونوا أمواتًا من قبل، بل نقول: إن الله خلقهم، أي أوجدهم ولم يكونوا لا أمواتًا ولا أحياء من قبل.

الإحياء والموت : عندما نقول: إن الله يحيي مخلوق ما، فمعنى ذلك أن هذا المخلوق كان ميتًا فأحياه الله.

وعندما نقول: إن الله يميت مخلوقًا ما، فمعنى ذلك أن هذا المخلوق كان حيًّا فأماته الله.

ومثالاً لتوضيح ذلك:

أن الله يحيي الأرض بعد موتـــها.

أي: أن الأرض كانت مخلوقة من قبل فإن سلب منها الحياة أماتـــها، وإن وهب لها الحياة أحياها.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ...﴾ (الروم ١٩)

* أي أن الله يهب الحياة للميت فيصبح حيًّا
* ويسلب الحياة من الحي فيصبح ميّتًا.

موتة واحدة لمن رضي الله عنهم ، وموتتان لمن غضب الله عليهم

تمعن هداني الله وإياك في السبع آيات الآتية :

(١) ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية ٠٢١)

ومعنى ذلك: أن من رضي الله عنهم يختلفون عمن غضب عليهم، لا في المصير (جنة ونار) فحسب، بل كذلك في الموت وفي الحياة الثانية.

لماذا نذكر هنا الحياة الثانية؟

لأنه في الحياة الأولى الكافرين يتمتعون كالأنعام غير مبالين بالحياة الآخرة، ويزيدهم الله من فضله ليزدادوا إثمًا مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (آل عمران ١٧٨)

أما المؤمنون فيصبرون في الحياة الأولى لرضاء الله والبعد عن المعاصي مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (آل عمران ١٤٠-١٤١)

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (آل عمران ١٤٢)

ومصداقًا لحديث الرسول ﷺ : " **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** " [1]

(سجن) يحرم نفسه من الشهوات ويتقيد بالشرع.

(جنة) يطلق للنفس عنان الشهوات بلا حدود.

ولهذا فالتمييز الذي سيجعله الله بين المؤمن والكافر يكون في الحياة الدنيا الثانية التي تلي الموت.

وهذا طبعًا غير المصير الأبدي من جنة ونار.

[1] مسلم (كتاب الزهد، الباب الأول)، جزء ٤، ص ٢٢٧٢.

موتة واحدة لمن رضي الله عنهم

(٢) قال الله تعالى :﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الدخان ٠٥٢)

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الدخان ٠٥٦)

يقول الله تعالى إن المؤمنين لا يذوقون في الجنة الموت. وعطف وقال بل لا يذوقون إلاّ الموتة الأولى ... التي تنقلهم من الدنيا الصغرى إلى الدنيا الكبرى.

فمعنى هذا أن المؤمن لا يذوق إلاّ موتة واحدة منذ خُلِق حتى دخوله الجنة، مصداقًا لقوله تعالى :

(٣) ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الصافات ٠٤٣)

﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات ٠٥٠-٠٦٠)

فهنا يوضح الله لنا حال المؤمن فرحًا مستبشرًا بعد أن اطمأن لنتيجة سعيه في الحياة الدنيا وها هو قد فاز بالجنة لحياة أبدية بعد أن قضى الحياة الدنيا الكبرى، و لم يذق فيها لا موت ولا عذاب، ووقاه الله شر الجحيم.

وبذلك يكون منذ خلق حتى بعث لم يذق سوى موتةً واحدة. وقد كتب الله

له الجنة يعيش فيها حياة أبدية لا موت فيها ولا سقم.

مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ :

" إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت"[1]

وفي حديث آخر :

" يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة خلود لا موت ، ولأهل النار يا أهل النار خلود لا موت " [2]

---

[1] البخاري (كتاب الرقاق باب صفة الجنة) جزء ١١، ص ٤١٥.

[2] البخاري (كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب) جزء ١١، ص ٤٠٥.

موتتان للذين اجترحوا السيئات

(٤) يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر ٠١٠-٠١١)

ففي الوقت الذي يقول فيه المؤمنون عند دخول الجنة :

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

(٥) يقال للعاصين عند دخول النار :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (البقرة ٠٢٨)

فيقرون ويعترفون :

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر ٠١١)

ولتعلم أن الموت مرتين، والإحياء مرتين يحدث في الدنيا الكبرى. انظر إلى التسلسل في الآية الكريمة:

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

فالموت الأول : مغادرة الدنيا الصغرى.

والرجوع لله : يوم البعث والحساب.

فما حدث بينهما في الدنيا الكبرى:﴿ فَأَحۡيَـٰكُمۡ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾

(البقرة ٢٨)

(٦) ويقول الله تعالى بالمثل في سورة التوبة (آية ١٠١)

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡ ۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

يقول الله تعالى :

سنعذبهم : أي مستقبلاً سينالهم عذاب من الله.

مرتين : أي عذاب يليه عذاب آخر.

ثم يردون إلى عذاب عظيم : أي بعد نهاية العذابين يعودون لله وينالهم عذاب عظيم.

فواضح من الآية أن الله سيعذبهم مستقبلاً، أي ليس في الحياة الدنيا الصغرى بل في الحياة الدنيا الكبرى، فهنا يظهر بجلاء معنى الآية :

﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَـٰكُمۡ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(البقرة ٢٨)

أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَـٰكُمۡ ۖ: ليعذبكم العذاب الأول.

ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ: الموتة الثانية إذلالاً لكم.

ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ : ليعذبكم العذاب الثاني.

ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ : حيث تردون إلى عذاب عظيم.

وهنا يظهر بجلاء المعنى الجليل في قول الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الجاثية ٠٢١)

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات :

لا يموتون إلاّ موتةً واحدةً، ويحييهم الله للجزاء المؤقت عنده (في الدنيا الكبرى) ويبقون أحياء حتى يوم البعث ودخول الجنة.

وحالهم قبل القيامة: يعيشون في نعيمهم المؤقت:

﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يس ٠٥٥-٠٥٨)

وحالهم عند دخول الجنة :

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات ٠٥٨-٠٦٠)

وحالهم في الجنة :

يتذكرون هذا النعيم المؤقت في الدنيا الكبرى :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ

﴿ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة ٠٢٥)

أما الذين اجترحوا السيئات :

يموتون الموتة الأولى، ثم يحييهم الله للعذاب الأول، ثم يميتهم موتة ثانية إذلالاً لهم، ثم يحييهم للعذاب الثاني، ثم يبعثهم ليحاسبهم ويدخلهم النار.

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ (التوبة ١٠١)

وحالهم قبل القيامة :

﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (النحل ٠٢١)

ولذلك عندما يحييهم الله للحساب يقولون :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(يس ٠٥١-٠٥٢)

وحالهم في النار :

﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾

(فاطر ٠٣٧)

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (المؤمنون ١٠٧)

﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر ٠١١)

ذهب المفسرون في شرح الآية السابقة:

﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (البقرة ٠٢٨)

﴿ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ﴾ : أي قبل الوجود في حالة الذر. (قبل الحياة الدنيا).

﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾ : أي أحيانا الله في الحياة الدنيا الأولى.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ﴾ : أي أماتكم عند نهاية حياتنا الدنيا الأولى.

﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾ : أي يحيينا الله في الدنيا الكبرى.

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ : أي تعودون لله يوم البعث.

وبذلك عمَّمُوا الحياة مرتين والموت مرتين للمؤمنين والعاصين مـــما يخالف مفهوم الآيات السابقة.

هل لنا نشأة في عالم الذر

هنا اعتبر المفسرون أننا كنا في عالم الذر أمواتًا قبل أن نخلق، واستنبطوا ذلك من قول الله تعالى :

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٢-١٧٤)

وقالوا إن هذه الآيات الكريمة تعني :

أن الله خلق أرواح كل البشر من آدم إلى نهاية الحياة الدنيا على الأرض وجمع أرواحهم وهم في عالم الذر مرة واحدة وسألهم جميعًا ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾ فأجابوا جميعًا ﴿ بَلَىٰ ﴾ شاهدين مقرين بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الواحد الأحد.

ثم إن مولانا بحكمته رد أرواحهم بعد شهادتهم إلى عالم الذر في أصلاب وصدور آبائهم وأمهاتهم إلى أن يحين وقت خروج كل منهم إلى الحياة الدنيا فيولدون ويعيشون على الأرض.

وفسروا قول الله تعالى :

﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (البقرة ٠٢٨)

حيث قالوا : ثم يميتهم: (حين يحين أجلهم)

ثم يحييهم: مرة أخرى (عند أول دخولهم القبور لتسألهم الملائكة الكرام عن ربهم ودينهم ونبيهم.)

ثم يميتهم: مولانا بعد السؤال إلى يوم القيامة.

فيرجعهم أحياء: في أي صورة شاء ليحاسبهم.

فريق يدخله الجنة وفريق يدخله النار.

فهل هذا التصور والتفسير لآيات الله البينات صحيح... أم لا..؟

سنرى من بعد ...

وبذلك استنتج المفسرون أن الله قدر لنا أربع نشآت :

النشأة الأولى : في عالم الذر (ليأخذ منا الميثاق).

النشأة الثانية : في الحياة الدنيا (الدنيا الصغرى).

النشأة الثالثة : في حياة البرزخ.!؟ (الدنيا الكبرى)

النشأة الرابعة : في الحياة الآخرة.

فهل هذا التصور والتفسير لآيات الله البينات صحيح أم لا...؟

سنرى من بعد.

فأعيد وألخص تصور السادة المفسرون:

- كنا أمواتًا في عالم الذر... فأحيانا (لأخذ الميثاق علينا)
- ثم أماتنا (في ظهور آبائنا) ...فأحيانا (لقضاء الحياة الدنيا)
- ثم أماتنا (عند قضاء الأجل)...فأحيانا (لسؤال الملائكة)
- ثم أماتنا (موتة أخرى) حتى يوم البعث فيحيينا (للرجوع إليه يوم الحساب)

وسوف لا أبدي رأيًا في هذا التفسير، ولكنني سأناقشه بتطبيق الآيات البينات؛

لأن القرآن الكريم يشرح بعضه بعضًا. وقد وضح ذلك ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره : " فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : وأن أصح الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان ، فإنه قد بسط في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقـــرآن وموضحة له" انتهى.

يقول الله تعالى عن المؤمنين في الجنة :

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الدخان ٥٦)

في هذه الآيات البينات الكريمة يوضح الله لنا أنه ميز أصحاب الجنة عن أصحاب النار بأنهم لا يذوقون إلا الموتة الأولى .

وإن قال بعض المفسرين أن المقصود هنا هو ذواق الموت، أي أن المؤمنين يموتون مرتين يذوقون الأولى ولا يذوقون الثانية.

فإن قول المؤمنين عند دخولهم الجنة ينفي موهم موتة ثانية سواء بذواق أو بغير ذواق. حيث يقول المؤمنون كما قال الله تعالى :

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات ٥٨-٦٠)

فمعنى ذلك أن الله لم يقدر للمؤمنين سوى موتة واحدة وهي الأولى التي ذاقوها، و لم يقدر الله لهم موتا آخر سواء بذواق أو بغير ذواق.

وإن ذِكْر الله في الآيتين أنه ميز أصحاب الجنة بموتة واحدة تنبيه لنا بأنه سبحانه

وتعالى عاقب أصحاب النار بأكثر من موتة واحدة. ولذلك نجد في الآيات البينات قول الله تعالى :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (البقرة ٠٢٨)

وهذه الآيات موجهة للكافرين وليس لكل النـــاس، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ هنـــا ليست لاستبعاد الكفر عنهم ولكن للتعجب من جرأهم على الكفر بعد حدوثـــه، بدليل أن أصحاب النار سينادون ربهم سبحانه وتعالى نادمين على ذلك قائلين كما قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر ٠١١)

فكما ترى أيها القارئ التطابق بين الآيات :

سورة البقرة (٢٨)	يقابلها	سورة غافر (١١)
وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ...ثُمَّ يُمِيتُكُمْ		رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ
فَأَحْيَٰكُم ....ثُمَّ يُحْيِيكُمْ		وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ

ولما كان الأمر في السورتين موضحًا أن الموت مرتان، والحياة مرتان (في الأجل المسمى عنده) عقابًا لمن غضب الله عليهم فقد نبّه الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ في سورة الإسراء ليبين له أنه إن لم يكن مثبت من الله في اتباع ما أمر به لكان

أمره تمامًا كمن غضب الله عليهم.

حيث قال جل من قائل :

(٧) ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

(الإسراء ٠٧٤-٠٧٥)

يقول الله تعالى :

﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾

أي لعاملناك كما نعامل من غضبنا عليه بموتتين وحياتين (في الأجل المسمّى عنده) لأن الله يقول : ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ ﴾ أي مستقبلاً وليس في الحياة الدنيا الأولى كقول الكافرين كما قال الله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا ﴾ (غافر ٠١١)

أي أنهم ذاقوا ضعف الحياة وضعف الممات وبالتطابق بين الآيات البينات:

سورة الإسراء (٧٥)	يقابلها	سورة غافر (١١)
لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ		رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ
وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ		وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ

يقول بعض المفسرين: إن ضعف الحياة وضعف الممات تعني عذاب الحياة وعذاب الممات وبذلك قلبوا معنى كلمة ضعف والتي تعني التكرار إلى معنى عذاب وهكذا حرفوا الكلم عن مواضعه ..!؟

فسبحان الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ... و لم يجعل له عوَجًا ...

سيقولون أن قول الله تعالى : ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ﴾ أي ذواق الموت مرتين كمقولتهم

السابقة بأن الكافر يذوق الموت مرتين والمؤمن يذوق الموت المرة الأولى ولا يذوقه المرة الثانية ... وللرد على ذلك :

قالت عائشة – رضي الله عنها – عند وفاة الرسول ﷺ :

" أقبل أبو بكر – رضي الله عنه – على فرسه من مسكنه بالسنج حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة – رضي الله عنها – فتيمم النبي ﷺ وهو مُسَجّى ببُرْدٍ حِبَرَةٍ فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبّله ثم بكى فقال بأبي أنت يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها.

– وفي رواية أخرى –

"بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا " (جزء من حديث مطول).

وبذلك وضح لنا أبو بكر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ حبيب الله وسيد الخلق وأول من يدخل الجنة لا يذوق إلا موتة واحدةً، بل ولا يجمع الله عليه الموتتين لأن الموتة الوحيدة التي كتبت عليه قد ماتها.

وبملاحظة بسيطة في الآيات التي ذكر الله فيها موتتين نجد أنها لا تخص سوى الكافرين.

- ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ ﴾ .... (سورة البقرة ٠٢٨)

- ﴿ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ .... (سورة غافر ٠١١)

- ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ .... (سورة الحج ٠٦٦)

قال رسول الله ﷺ :

" إن نفس المؤمن تخرج رشحًا، وإن نفس الكافر تُسَلُّ كما تسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها " [1]

فالحديث الشريف يوضح لنا :

ختام الحياة الدنيا الأولى، وتصفية الأعمال، وبداية خلق الموت والجزاء المؤقت.

فكما ترى أيها القارئ أن المؤمن يجد أحيانًا في الموت شدة، ولكن ليكفر عنه من سيئاته والكافر يجد أحيانًا سهولة ليجزى بآخر حسناته في الدنيا وليس له في الآخرة شيء لأن أعماله كسراب. فهذا هو ذواق الموت؛ بأن تسل نفس المؤمن ونفس الكافر ثم تذهب الملائكة بهما للسماء فيؤذن لنفس المؤمن بالنفاذ عبر السماوات السبع ثم تعود لسؤال الملكين ، أما نفس الكافر فلا يؤذن لها بالنفاذ فتعود لسؤال الملكين.

كل هذه المراحل من تنعيم للمؤمن وسوء معاملة للكافر تعتبر خلق الموت لجزاء القبر وبعد انتهاء خلق الموت وجزاء القبر يأتي خلق الحياة.

أما الآن وقد بينا أن الله قدر للمؤمن موتة واحدة لا يذوق سواها وأن هذه الموتة هي الأولى فمعنى هذا أنه لم يسبقها موت من قبل في حالة الذر.

وأن الله قدر للكافر موتتين إذن فالموتة الثانية من طبيعة الحال تلي الموتة الأولى وليست قبلها.

---

[1] الترمذي رقم ٩٨٠.

والاعتقاد بأننا كنا أمواتًا في حالة الذر يتعارض مع قول الله تعالى:

﴿ ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الدخان ٠٥٦)

﴿ مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الصافات ٠٥٩)

والاعتقاد بأنه كان لنا ثمة نشأة في حالة الذر قبل الميلاد يتعارض مع قول الله تعالى :

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(الواقعة ٠٦٠-٠٦٢)

أي أن نشأتنا الأولى التي نعلمها هي حياتنا الدنيا الأولى: " نطفة ... فعلقة ... فمضغة ... فعظامًا ... فكسونا العظام لحمًا ... فخلقًا آخر ... فطفلاً ... فشابًا ... فرجلاً ... فكهلاً "

هذه هي النشأة الأولى والتي تنتهي بالموتة الأولى.

ثم ينشئنا الله في ما لا نعلم من الصور لقضاء الحياة الدنيا الثانية حتى يوم البعث.

أما عن تفسير الآيات الكريمة من سورة الأعراف (١٧٢-١٧٤):

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ .... ﴾

سُئل رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآيات فقال : "**إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال : خلقت**

هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون" ، فقال رجل يا رسول الله ففيما العمل..؟ قال رسول الله ﷺ : **"إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار".**[1]

فمعنى الحديث الشريف أن هذا هو علم الله المسبق لأهل الجنة ولأهل النار، و لم يكن لنا ثمة نشأة أو حياة أو موت في حالة الذر مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأنعام ٠٩٨)

مستودع : في ظهور آبائنا جيلاً بعد جيل.

مستقر : في أرحام أمهاتنا عندما يأذن الله بخروج كل منا لحياة التكليف.

قرأت شرح هذه الآيات (إذ أخذ ربك من بني آدم ...) لكثير من السادة المفسرين من السلف والخلف، وكان الرأي الغالب بينهم أن هذا الميثاق هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ثم اطلعت على أحدث تفسير لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي " الوسيط" والذي يختصر فيه بلباقة وإيجاز رأي السلف والخلف. وهذه فقرة من شرح فضيلته منقولة من الوسيط (صفحة ٤٣٣) المجلد الخامس:

"وروى الطبري عن الحسن الأسود بن سريع قال : قال رسول الله ﷺ **(كل نسمة تولد على الفطرة حتى يُعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها)** [2]

---

[1] مسند أحمد (جزء ١ ص ٤٥) إسناده صحيح.

[2] مسند أحمد (جزء ٣ ص ٤٣٥) إسناده صحيح.

ولذلك يتبين لنا أن المعنى الإجمالي للآية الكريمة أن الله – تعالى – نصب للناس في كل شيء من مخلوقاته – ومنها أنفسهم – دلائل توحيده وربوبيته ، وركز فيهم عقولاً وبصائر يتمكنون بها تمكُّنًا تامًا من معرفته والاستدلال بها على التوحيد والربوبية حتى صاروا بمنـــزلة من إذا دعي إلى الإيمان بها سارع إليه بدون شك أو تردد.

فالكلام على سبيل المجاز التمثيلي لكون الناس قد فطرهم الله – تعالى – على معرفته والإيمان به ، وجعلهم مستعدين جميعًا للنظر المؤدي إلى الاعتراف بوحدانيته، ولا إخراج للذرية ولا قول ولا إشهاد بالفعل.

وعلى هذا الرأي سار المحققون من مفسري السلف والخلف ويرى بعض المفسرين أن معنى الآية الكريمة : أن الله تعالى مسح ظهر آدم فأخرج منه ذرية كالذر . وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق ، وألهمهم ذلك القرار ، ثم أعادهم إلى ظهر أبيهم آدم واستشهدوا لذلك بأحاديث وآثار ليست صحيحة الإسناد ، وما حسن إسناده منها فقد أوله العلماء بما يتفق مع منطوق الآية الكريمة وقد رد أصحاب الرأي الأول على هذا البعض بردود منها أن الله – تعالى – قال :

١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ و لم يقل من آدم ،

وقال :

٢) ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ و لم يقل من ظهره ،

وقال :

٣) ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ و لم يقل " ذريته "

قال :

٤) ﴿ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا ﴾ ولم يكن لهم يومئذ أب مشرك ، لأن آدم حاشاه من الشرك بالله تعالى.

قال الإمام ابن كثير (جزء ٢ صفحة ٢٦٤) بعد أن ساق عددًا كبيرًا من الأحاديث في هذا المعنى : ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض والأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك .) (انتهى).

التعليق :

إن الاستعانة في التفسير بأحاديث نسبت للنبي ﷺ لا تكون ملزمة إذا تعارضت مع النص القرآني، وإن أفضل الطرق لتفسير الآيات هو استيضاح المعنى بالتطابق بين الآيات بحيث لا يتعارض تفسير آية مع تفسير آية أخرى.

وإن تحديد الله للنشأة الأولى وهي "حياتنا التكليفية" وتحديده للموتة الأولى بانتهاء هذه الحياة ينفي تمامًا وجود نشأة سابقة أو موت من قبل.

وبذلك ترجح كفة تفسير الميثاق بأنه الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وبالمثل في قول الله تعالى :

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (آل عمران ٠٨١)

(إصري : عهدي)

تخيل بعض المفسرين هذه الآيات البينات على أن الله سبحانه وتعالى جمع النبيين دفعة واحدة قبل الخلق وأخذ عليهم الميثاق بأن يؤيد بعضهم بعضًا.

واستنتجوا من ذلك أن هناك مرحلة روحية عشناها في الملكوت قبل النـــزول إلى الأرحام. وإلى أنه كان لنا ثمة وجود قبل الميلاد ..

وهذا التصور يؤيد أن لنا نشأة قبل الميلاد وبذلك يتعارض مع قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الواقعة ٦٢)

أي: أن الله سبحانه وتعالى حدد لنا أن حياتنا الدنيا منذ الميلاد إلى الموت هي النشأة الأولى يعني أنه لم يسبقها نشأة من قبل.

فكيف نفسر هذه الآيات بما لا يتعارض مع الآيات الأخرى بكتاب الله.؟

لو أنّ الله سبحانه وتعالى جمع النبيين دفعةً واحدةً لعرفوا بعضهم بعضًا ولعرفهم الرسول ﷺ جميعاً، وكان الأمر سهلاً ليؤيد بعضهم بعضًا. ولكن عندما يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (النساء ١٦٤)

وهذا يعني أن الرسول ﷺ لم يحط علمًا بجميع الرسل كافةً.

على عكس ذلك أن جميع الرسل قد أحيطوا علمًا بالرسول محمد ﷺ وكلفوا بالتبليغ لمجيئه كآخر رسول من عند الله.

لذلك عندما أُعرج بالرسول ﷺ للسماوات كان يسأل جبريل عليه السلام في كل مرة من هذا يا أخي يا جبريل؛ فيقول له: هذا عيسى... وهذا موسى ... وهذا إبراهيم وهذا أبوك آدم ... إلخ ... عليهم صلوات الله وسلامه.

مـــما يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن حاضرًا حين أخذ الميثاق من النبيين

وإلاً لتعرف عليهم دون سؤال.

فالميثاق إذن أخذ من كل رسول وكل نبي على حدة عند توصله بالرسالة والوحي من لدن العزيز الحكيم.

كما تبينه الآيات الكريمة الآتية :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٠٧-٠٠٨)

إذن فالله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق من كل نبي على حدة سواء ممن ذكرهم لمحمد ﷺ، أو ممن لم يذكرهم له وكذلك من الرسل واحدًا واحدًا كما هو مبين في الآية الكريمة.

وكذلك في قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(آل عمران ١٨٧)

فهل يعني هذا أن الله جمع أهل الكتاب دفعة واحدة وأخذ منهم الميثاق؟

طبعًا غير منطقي لأن الرسل والأنبياء جاءوا على فترات من الزمن متباعدة فالزبور وأتباع داود في عهد غير التوراة وأتباع موسى و غير الإنجيل وأتباع عيسى. فهؤلاء جميعًا أهل الكتاب وقد أخذ الله ميثاقه منهم بأن يبينوه للأجيال الآتية بعدهم جيلاً بعد جيل ولا يخفون حقيقة النبي محمد ﷺ المذكور عندهم في الكتاب فكما أخذ الله الميثاق من كل نبي ورسول على حدة أخذ كذلك الميثاق من أتباعه حين أرسل إليهم الكتاب في عهده.

وختامًا لذلك :

فالميثاق في سورة الأعراف :

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ ﴾ (الأعراف ١٧٢)

هو ميثاق الفطرة بين الله وكل فرد على حدة.

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الروم ٠٣٠)

والميثاق في سورة آل عمران وسورة الأحزاب :

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ .... (آل عمران ٠٨١)

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ .... (الأحزاب ٠٠٧)

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ .... (آل عمران ١٨٧)

هو ميثاق بين الله وكل نبي أو رسول على حدة عند توصله بالوحي، والميثاقين لم يحدثا في نشأة قبل الخلق أو في عالم الذر وحجتنا :

أولاً : أن النشأة الأولى التي نعلمها هي حياتنا التكليفية كما قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ (الواقعة ٠٦٢)

وكما قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ

﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

(المؤمنون ٠١٢-٠١٤)

ثانيًا : لو كانت لنا نشأة سابقة لتذكرناها تفصيليًا بمثل ما سنتذكر نـــشأتنا الأولى للحياة التكليفية عندما ننتقل للدنيا الكبرى أو يوم البعث. كقوله تعالى :

- ﴿ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (الصافات ٠٥١)
- ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الصافات ٠٥٠)

ثالثا : إن قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾

(النساء ٠٤٣)

لا يعني أن الله أباح شرب الخمر ... لأنه سبحانه وتعالى يحدد لنا في سورة المائدة (الآية ٩٠) حرمتها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾

وهكذا يشرح القرآن بعضه بعضًا فلا يجوز أن نشط في فهم آية بما يتعارض مع مضمون آية أخرى ... وبذلك يتبين لنا أن الله جعل :

للمؤمن : موتة واحدة

وللكافر : موتتان.

الانتقال من الحياة الدنيا الصغرى للحياة الدنيا الكبرى

فالعاصين تستقبلهم الملائكة : برزخًا وحجرًا محجورًا

برزخًا : يحدث فيه التقليب الذي يُحوِّلهم إلى صور بشعة للذهاب بهم لأسفل سافلين.

مصداقًا لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ (التين ٠٠٤-٠٠٦)

ومصداقًا لقوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

(الأعراف ١٦٦)

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة ٠٦٠)

ومصداقًا لقول الرسول ﷺ : (رؤيته للمعذبين من العاصين)

"ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنـــزير وبدنها كبدن الحمار وعليها ألف نـــوع من العذاب".

"ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فوقها وتخرج من تحتها" ...

حجرًا محجورًا : في أسفل سافلين في الأرض السابعة، محجور عليهم الخروج منه لتلقي شتى أنواع العذاب.

إذن فيوم تقوم الساعة ... هل سيلقون ربهم على هذه الصور البشعة .... ؟

طبعًا لا .... لماذا ؟

لأن الله تعالى قدّر لهم الموتة الثانية : ليتخلصوا من صورهم البشعة ويتهيئوا للبعث.

﴿ قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (يس ٠٥٢)

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الكهف ٠٤٨)

أي أنهم بُعثوا من موتتهم الثانية على صورهم التي كانوا عليها قبل موتتهم الأولى (عند إنتهاء حياتهم التكليفية).

أما المؤمنون فتستقبلهم الملائكة بالبشرى في الحياة الدنيا (الثانية) والحياة الآخرة.

فهم يحتفظون بصورهم المميزة لهم، ولكن بما يلائم حياتهم الدنيا الثانية، ليتعرف بعضهم على بعض وليتلقوا شتى أنواع النعيم المؤقت، فيوم تقوم الساعة:

﴿ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلاً ﴿٢٤﴾ ﴾ (الفرقان ٠٢٤)

﴿ إِنَّ أَصۡحَـٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٲجُهُمۡ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوۡلاً مِّن رَّبٍّ

رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ (يس ٠٥٥-٠٥٨)

وهم مستعدون ومشتاقون ليوم البعث.

ومن هذا كله يتبين لنا أن المؤمن لا يذوق سوى موتةً واحدةً ويحتفظ بصورته حتى يوم البعث.

أما العاصون فلأن لهم برزخًا وحجرًا محجورًا فيذوقون الموتة الثانية للعودة لصورهم كما كانت قبل البرزخ (عند مغادرة الحياة التكليفية) استعدادًا للبعث.

يوم البعث

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ ﴾ (التكوير ٠٠٧)

أي عادت الأرواح لأجسادها في القبور لتأخذ صورها الأصلية استعدادًا ليوم الحساب.

فكيف يتم ذلك ....؟

قال الله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾

(نوح ٠١٧-٠١٨)

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ (فاطر ٠٠٩)

وقال رسول الله ﷺ :

" ينـــزل الله من السماء ماءً فتنبتون كما ينبت البقل . ليس من الإنسان شيء إلاّ يبلى إلاّ عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة".

عجب الذنب : قيل هو رأس العصعص.[1]

قيل يا رسول الله ما هو ؟ قال : " **مثل حبة خردل ومنه تنشرون** "

وما يفهم من الحديث الشريف أن عجب الذنب هذا بمثابة النواة أو البذرة التي تعيد هيئة الإنسان كما تعيد البذور أشجارًا ونباتات أخرى من الأرض حين تتاح لها الظروف المناخية لذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ ﴾ (الزلزلة ٠٠١-٠٠٦)

يوم الحساب

في هذا اليوم المشهود تجمع الملائكة الذين ابيضت وجوههم (أصحاب الميمنة) عن يمين العرش حاملين كتابهم بيمينهم فخورين بحسن سعيهم استعدادًا للحساب اليسير.

وتجمع الذين اسودت وجوههم (أصحاب المشئمة) عن يسار العرش حاملين كتابهم بشمالهم أو وراء ظهورهم متقززين من سوء سعيهم استعدادًا للحساب العسير.

هنـــا

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ

[1] مسلم (كتاب الفتن باب ما بين النفختين) جزء ٤، ص ٢٢٧١.

بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الزمر ٠٦٩)

وتبدأ المحاكمة

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

(الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

وبعد المحاكمة

الخلق الجديد المؤهل للحياة الأبدية سواء في جنة أو في نار

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾ (ق ٠١٥)

الجزاء الأبدي في الدار الآخرة

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ..... ﴾ (الزمر ٠٧٣)

قائلين ﴿ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات ٠٥٨-٠٦٠)

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ..... ﴾ (الزمر ٠٧١)

قائلين ﴿ .. رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾ (غافر ٠١١)

الملائكة والعرش

﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الزمر ٠٧٥)

القضية الكبرى

في تفاسير كتاب الله عز وجل

التفاسير

اعتبر السادة العلماء أن للتفاسير قواعد، ونظراً لتعدد هذه القواعد جعلوها علماً مستقلاًّ أطلقوا عليه [علم التفاسير].

وهذا العلم جعلوا لمن يخوض فيه شروط كثيرة لا بد من توفرها واستيفائها حتى يمكنه التحدث عن شيء اسمه تفسير كتاب الله، بل واشترطوا في من تتوفر فيه هذه الشروط كاملة أن تكون لديه الملكة والموهبة في تفسير كتاب الله ....

ولا يجب من طبيعة الحال لأي مسلم عادي أن يتجرأ ويخوض في تفسير آية من آيات الله، لأن هذا الأمر من خصوص اختصاص المتخصصين ولأن الله تعالى يقول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ٠٤٣)

ويقول: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان ٠٥٩)

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (فاطر ٠١٤)

وبذلك احتكر السادة العلماء كتاب الله وجعلوا بينه وبين المسلم العادي جدارًا منيعًا لا ينفذه إلاّ بإذن واستعانة بهم، وجعلوا من أنفسهم ما يطلق عليه رجال الدين، أو ما يقال عنه الكهنوت، فتدبر القرآن لا يمكن أن يتم إلاّ عن طريقهم كأنهم وسطاء بين العبد وربه ...

وإمعانًا في ذلك وتلميعًا لهذه المكانة جعلوا لهم لباساً مميزاً فأصبح الدين حرفة ومصدر رزق، ممّا جعل كثيراً من الناس يبتعدون عن الدين والخوض فيه وعن القرآن وتدبره، لا لشيء ... إلاّ أن الدين أصبح حرفة ... والحرفة لها رجالها.

حتى أن كثيرًا من المثقفين ... لم يعد يهمه التمعن في كتاب الله مرددين

المقولة المشهورة : (ضع الفتوى في رقبة عالم تخرج سالم)

هل أنزل الله كتابه العزيز لطبقة معينة من الناس أم للعالمين كافة؟ ... وهل المسؤولية عنه محصورة لهذه الطبقة أم لكل فرد على حدة؟ وهل سيُحَاسَبُ المرء عن كتاب الله بمفرده أم مرفوقًا بشفعائه من العلماء؟.

فالأمر أصبح محيِّرًا ولا بد أن نستوضحه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول الله عز وجل :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

(الرحمن ٠٠١-٠٠٤)

إذن فتدبر القرآن لا يأتي إلا من نور الإيمان الذي يفتح القلوب فتستوعب العقول.

قال الله تعالى :

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (النحل ٠٤٣)

فسؤال أهل الذكر لا يعني أن نأخذ منهم دون تدبر وتفكير؛ لأن العالم بالشيء يجب أن يبينه خير بيان، وأن لا يقول إنني عالم فخذوا مني ولا تراجعوني .

فالسيدة عائشة رضي الله عنها، أم المؤمنين وزوجة الرسول ﷺ كانت تراجعه في كل صغيرة وكبيرة، ولا تقبل إلا ما وافق آيات الله والعقل والمنطق ، وقد كان الرسول ﷺ واسع الصدر حليما لتوضيح كل شيء لها و لم يقل لها أبدا ...
خذي ما لدي ولا تراجعين فأنا رسول الله لا أنطق عن الهوى .

مثال لذلك:

١) قال الرسول ﷺ : " **من نوقش الحساب عذِّب** " [1]

---

[1] البخاري (كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب) جزء ١١، ص ٤٠٠.

فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

" أفليس قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الانشقاق ٠٠٨)

فأجابـــها الرسول ﷺ: **(ليس ذلك بالحساب ولكنه ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب)**

فلو لم تسأل السيدة عائشة – رضي الله عنها – لما علمنا بأن حساب أصحاب اليمين هو العرض أمام الله ونورهم يسعى بين أيديهم ...

٢) قال المفسرون أن قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التكوير ٠٢٣)

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (النجم ٠١٣)

يعني أن الرسول ﷺ رأى ربه – عز وجل – رؤية العين مرتين عندما أُعرج به للسماء السابعة، فأجابت السيدة عائشة – رضي الله عنها – :

" أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: "**إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين**" .

وقالت : أو لم تسمع أن الله يقول :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(الأنعام ١٠٣)

أو لم تسمع أن الله يقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (الشورى ٠٥١)

فالسيدة عائشة – رضي الله عنها – لم تكتف بتوضيح أن هذا التفسير خاطئ لأن الرسول ﷺ وضحه لها، بل بينت للمفسرين أن تفسيرهم يتعارض مع مضمون آيات أخرى في كتاب الله مما يؤكد أنه غير صواب .

٣) لما أطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال:
" **وجدتم ما وعد ربكم حقا** "
فقيل له أتدعو أمواتا؟ فقال: " **ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون** " [١]

سأل المفسرون السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن قول النبي ﷺ بأن الأموات تسمع في القبور فأنكرت ذلك وقالت : إنما قال النبي ﷺ أنـــهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق لأن الله تعالى يقول:

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (الروم ٠٥٢)

إذن دائما الرجوع لآيات الله البينات، ولو تمعنت السيدة عائشة – رضي الله عنها – في الآية كاملة لاستنتجت صحة قول الرسول ﷺ، فقول الله تعالى :

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(الروم ٠٥٢)

يعني أن الموتى تسمع طالما هي موجودة في القبور، وذلك في الفترة الأولى للوفاة (علمها عند الله)، أما إذا ولوا مدبرين، أي خرجوا من القبور لحياة دنيا ثانية (الدنيا الكبرى) فهم لا يسمعون طبعا، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ

---

[١] البخاري (كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر) جزء ٣، ص ٢٣٢.

وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ (الواقعة ٠٦٠-٠٦١)

أي أن الله سبحانه وتعالى يحيينا جميعا بعد الموت في نشأة أخرى لحياة دنيا ثانية بعيدا عن القبور ينال كل منا جزاءه المؤقت حتى يوم البعث كما رأينا من قبل، إما في السبع أرضين أو في السماوات السبع أحرارا.

فكما ترى أن أحاديث الرسول ﷺ كانت تناقش للبحث عن تطابقها لآيات الله البينات . فآيات الله حق، وقول الرسول ﷺ حق، وعلينا أن نتمعن ونفكر ونتدبر ليكون إيماننا مبنيّاً على الحجة والبرهان، وندافع عن الإسلام بخير بيان؛ لأن الله تعالى يدعونا لتحكيم العقول :

﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنبياء ٠١٠)

وقبل أن نفسر يجب أن نكون على علم ودراية بالآيات المبينات للقواعد العامة التي بنى عليها الشرع، والقواعد العامة التي يحاسب الله بـها عباده، والقواعد العامة التي يجتبي الله بـها عباده ويميزهم عن غيرهم، لأن هذه القواعد هي من الثوابت التي لا تـتغير في كتاب الله، وعلى ضوئها نستنير في فهم وتأويل آياته البينات.

وقد يسر الله لنا الأمر حتى لا نلجأ لتأويل الآيات بالرأي دون حجة من كتاب الله وسنة رسوله فقال تبارك وتعالى :

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (هود ٠٠١)

وأمر الرسول ﷺ أن يبين للناس :

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(النحل ٠٤٤)

ولذلك فالرسول ﷺ بوحي من الله يفصل لنا الآيات.

إذن فتفسير الآيات نستنبطه من التأويل لآيات أخرى مفصلات، أو من حديث شريف لا يتعارض مع آيات الله ولا يخرج عن القواعد العامة التي بينها لنا الله، تجنبا للإسرائيليات. وبغير ذلك لا يمكن تأويله بالرأي .

أما عن الشروط والقواعد التي وضعها العلماء ليسمحوا لأنفسهم ولغيرهم بتفسير القرآن بالرأي فغير مقبولة شرعا بل ومحرمة تماما ....

وأن هذه الشروط والقواعد التي وضعوها كان التابعون لرسول الله ﷺ أكثر دراية بـــها منهم، ولم يجرؤوا على تفسير القرآن بالرأي .

حتى قال أبو بكر – رضي الله عنه – :

(أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأي)

وقال مسروق : (اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله).

وقال الشعبي : (والله ما من آية إلا وقد سألت عنها .... ولكنها الرواية عن الله عز وجل) .

وحتى الرسول ﷺ أعلنها صراحة :

" من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " [1]

ولذلك فلم يبح لنفسه ﷺ إبداء الرأي في تأويل جل آيات الكتاب إلا بـــما أوحى الله إليه ، مثال لذلك عندما سئل عن فواتح السور لم يجب؟ أو يفسرها كما فعل المفسرون بالرأي دون حجة أو برهان؟

لذا قال ﷺ :

" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " [1]

---

[1] الترمذي، رقم ٢٩٥٠، وقال: حديث حسن.

ويعني الرسول ﷺ بأن الله هو العاطي والملهم لتبيان آياته لمن أحب من عباده وليس لمن حصل على شهادة كذا ..... وكذا .....

و لم يقل الرسول ﷺ لابن عمه ابن العباس رضي الله عنهما:

أنا أعلمك كل شيء عن القرآن الكريم وتفسيره

بل دعى الله أن يلهمه المعاني والتأويل لآياته البينات فقال:

" **اللهم علمه الكتاب** " [٢]

" **اللهم فقّه في الدِّين وعلمه التأويل** " [٣]

فابن عباس – رضي الله عنهما – وضح لنا في تفسير القرآن أربعة أوجه:

(١) وجه يجب ألا نجهله (أي واضح للجميع)

(٢) وجه من لغة العرب (أي يلزمه معرفة المعنى عند العرب)

(٣) وجه يعرفه العلماء (أي العلماء في العلوم المختلفة وليس في الفقه فقط)

(٤) وجه لا يعرفه إلا الله (أي لا يعلم تأويله إلا الله)

<u>الوجه الذي لا يجب أن نجهله</u> : معظم آيات الكتاب واضحة المعنى سهلة الفهم لأي قارئ عادي.

<u>الوجه من لغة العرب</u> : يلزم الرجوع إلى التعبيرات التي كانت متداولة عند

---

[١] البخاري (كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا) جزء ١، ص ١٦٤.

[٢] البخاري (كتاب العلم باب قول النبي اللهم علمه الكتاب) جزء ١، ص ١٦٩.

[٣] البخاري (كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس) جزء ٧ ، ص ١٠٠.

العرب أيام نزول الوحي بآيات الله مثلاً : قول الله تعالى ﴿ وَأَنصَحُ ﴾ و ﴿ لَنَـٰصِحُونَ ﴾ يقول المفسرون انها تعني الموعظة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبالرجوع للغة العرب تبين لنا أنها تعني : التـرابط بصدق وإخلاص. (راجع صحيح مسلم بشرح النووي الجزء الثاني صفحة ٣٧)

الوجه الذي يعرفه العلماء : وهذه الآيات التي أنزلها الله بعلمه.

﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾

(النساء ١٦٦)

جعلها دليلا وبرهانا على أن كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومعرفة العلماء للحقائق العلمية يفسر لنا بوضوح معاني الآيات المتعلقة بخلقتنا وبالآفاق، كذلك معرفة العلماء بأصول الدين والفقه يفسر لنا شرع الله والحلال والحرام.

أما الوجه الذي لا يعلمه إلاّ الله : فالأمر يتعلق بالآيات المتشابهات التي جعل الله تأويلها في وقت معلوم هو يختاره ويحدده. وهذا الوجه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ليس لأن الله يرسل من الآيات ما هو معجز للفهم

والإدراك، وليس لأن الله لا يريد أن يعلمنا بتأويله؛ ولكن لأنه سبحانه وتعالى اختار وحدد لكل نبأ مستقر فحينئذ فقط يفصل لنا الآيات المتشابـــهات فتصبح محكمات (ويُلْهِمَ عبدًا من عباده باستنباط التأويل لها لأن الله لم ينـــزل من الآيات إلا ليبين لنا أمرا).

إذن فالاجتهاد والبحث يستمر في حدود تطابق الآيات وتفسير القرآن بالقرآن، حتى لا نشط ونختلف في الرأي في أمر لا يريد الله إظهاره في جيل من الأجيال فتحدث الفتنة بين الناس؛ لأن الآية تفسر تفسيرات مختلفة باختلاف عقول العلماء وآراء المتخصصين، وحتى لو اتفقوا على رأي فالرأي بدون حجة محرم أصلا .

ولهذا حذرنا الله سبحانه وتعالى من هذه الفتنة بتفسير الآيات التي لا يعلم تأويلها إلا الله لأنه كما قال تعالى: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
(الأنعام ٠٦٧)

ويقول الله تعالى في هذا الشأن :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

عندما يقول الله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

فهذا يعني أن هذه الآيات المتشابـــهات لم يأذن الله بعد بتبيان معناها وتأويلها فتندرج تحت قول الله تعالى :

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنعام ٠٦٧)

وعندما يأذن الله وفي الوقت الذي يريد ويقرر يلهم عبداً من عباده بتأويل هذه الآيات بآيات أخرى مفصلات، فتصبح الآيات المتشابـــهات محكمات فنعلم تأويلها.

يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

فمن هؤلاء الراسخون في العلم ...؟

هم الذين يدركون قول الله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
(الأنعام ٠٦٧)

أي رغم إلمامهم باللغة، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النـــزول، ومعاني الكلام ومراميه، وكل دراية علمية تؤهلهم للتأويل ....

ولأنـــهم يفسرون القرآن بالقرآن فلم يظهر لهم تأويله، ويفسرونه بأحاديث الرسول ﷺ ولم يظهر لهم تأويله، فيقتنعون بأنه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾
(آل عمران ٠٠٧)

فيقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

وهذه هي صفة ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾

(آل عمران ٠٠٧)

فمن هؤلاء الذين في قلوبـــهم زيغ ... ؟

هم الذين لا يتبعون طريق الراسخين في العلم أولي الألباب . وتأخذهم شهوة الغرور بالعلم فيتهجمون على التفسير لآيات الله بالرأي، فتفسر الآية الواحدة تفسيرات مختلفة باختلاف عقول العلماء وآراء المتخصصين. فتحدث الفتنة في فهم وإدراك الآيات التي لا يعلم تأويلها إلا هو ...

لماذا ..؟

لأنه سبحانه وتعالى أراد وقرر أن يكون لكل نبأ مستقر، وتحقيقا لمشيئة الله هذه فقد حذرنا الرسول ﷺ من تفسير القرآن بالرأي في أحاديثه الشريفة الآتية :

" **من قال في القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار** " [١]

"**من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار**" [٢]

(صدق رسول الله)

ويعني الرسول ﷺ " **بغير علم** " أي بغير حجة وبرهان لما سبق ذكره، وكذلك يعني بغير معرفة للعلوم المختلفة والتي تفسر لنا جيلا بعد جيل آيات متشابـــهات فندرك تأويلها بخير بيان، و لم يقصد الرسول ﷺ بالعلم هنا علم الكلام واللغة والبيان وما شابه ذلك؛ لأن القرآن الكريم نزل في عهد كان الناس فيه على علم ودراية بأصول اللغة وبلغة العرب، ورغم ذلك ظلت الآيات المتشابـــهات لا يعلم تأويلها إلا الله.

وهنا نتساءل عن التفاسير المختلفة لكتاب الله عز وجل.

---

[١] الترمذي رقم ٢٩٥١ وقال: حديث حسن.

[٢] الترمذي رقم ٢٩٥٠ وقال: حديث حسن صحيح.

فهل قال مفسر واحد في تأويل آية من آيات الله المتشابهات كما أمره الله تعالى أن يقول كالراسخين في العلم وأولي الألباب كما قال الله تعالى:

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران ٠٠٧)

... وسكت ...؟

الجواب :

أبدا ... أبدا ...

وكيف يقول هذا وهو حاصل على الشهادات والدرجات العلا في علوم الدين والفقه واللغة والبيان والناسخ والمنسوخ ... الخ ... الخ ...

لا بد له من رأي ... كما للآخرين رأي ...

وإلا ... فمن ذا الذي يعلم خير منه وهو من المتخصصين الذين لا يحق لسواهم تأويل آيات الله؟.

وهؤلاء الذين في قلوبهم زيغ في رأيه ...

هم الذين يعارضون هذه التفاسير ...

ويتمسكون بتفسير القرآن بالقرآن ...

رغم أنه الطريق الوحيد الذي لا يختلف فيه اثنان.

أما تفسير القرآن بالرأي الذي نهانا عنه رسول الله ﷺ كما يرى أي باحث في كتاب الله بتعدد تأويله، ويخرج الباحث بأفكار شتى لا يعرف أيها أقرب للصواب، وربما يضطر لإبداء رأيه كذلك فتحدث الفتنة التي حذرنا منها سبحانه وتعالى.

والسؤال هنا للقراء الأعزاء ... من هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ ؟

هل من يلتزمون بتفسير القرآن بالقرآن كما أمر الله ورسوله، ويقفون عند هذا الحد حتى يأذن الله بتأويل آياته ... جيلا بعد جيل ... ولله في ذلك حكم ...؟

أم الذين يبدون الرأي ويستخدمون الفنون اللغوية لتفسير كلام الله ... كلمة...كلمة ، وجملة ... جملة ... ويطوعون المعاني حسب أفكارهم، بل ويغيرون كلام الله أحيانا بكلام آخر حتى يخرجوا من المأزق الذي وضعوا أنفسهم فيه بأن يقولوا مثلا هذه الكلمة تشبيه عن كذا وهذه الكلمة لا تعني معناها الحقيقي فمثلا :

- " مثاني " (لا تعني جمع اثنين) بل تعني ثناء وحمدا، أو آيات.
- " كان ميتا " لا تعني (أنه لم يكن حيا) بل تعني (قبل الإسلام)
- " ضعف الحياة " لا تعني (حياتين) بل تعني عذاب الحياة.
- وقالوا " النصيحة " تعني الموعظة .. فكيف تكون النصيحة لله ولكتابه ولرسوله؟

وهكذا ... يطوعون المعاني حسب مفهومهم ورأيهم الخاص، فيحرفون الكلم عن مواضعه ويضيعون ما أراد الله تبيانه للخلق ... وادَّعُوا أن هذا تفسير باطني وتفسير إشاري ؟

وهنا أدعو كل قارئ لكتابي هذا أن يعيد قراءة الآية ٧ من سورة آل عمران ويعيد النظر فيما سبق ذكره عن تفاسير القرآن في عصرنا الحاضر ... ويستنبط بنفسه حقيقة الأمر.

ويستوضح إلى أي مدى وصل التهجم على تفسير كتاب الله بالرأي ..حتى ضاعت حقائق كثيرة أراد الله تبيانـــها في كتابه العزيز .. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ألم يقرءوا قول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ

﴿يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (يونس ٠٣٧)

ليعلموا أن تفصيل الكتاب وتأويل آياته من رب العالمين وهذا يعني تفصيل القرآن بالقرآن وليس بالرأي.

ولذلك كله أدعو إلى مراجعة التفاسير لكتاب الله عز وجل والالتزام بشرح القرآن بالقرآن وفتح باب مشاركة جميع الباحثين في شرح وبحث هذه الآيات التي أضاعوا معناها الحقيقي بإبداء الرأي.

وألا يقول العلماء كما قال موسى في ملأ من بني إسرائيل أنه أعلم ... فألهمه الله بأن عبدا من عباده " سيدنا الخضر " أعلم منه ...

لماذا ...؟ لأن الله وحده

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

(الرحمن ٠٠١-٠٠٤)

وألا يقول العلماء لأي باحث في آيات الله .... أنت لست متخصصا، ولا يحق لك أن تتحدث في تفاسير القرآن، فلكل حرفته والقرآن وتفسيره من اختصاص العلماء ...

فالسادة العلماء باحتكارهم للدين واتخاذه حرفة إنما أبعدوا الناس كافة عن الانشغال بالبحث في آيات الله البينات وأوهموهم بأن الباحث يجب أن تتوفر فيه شروط كثيرة ...معجزة ...

رغم أن آيات الله أنزلت للناس كافة، والمسؤولية عنها لكل فرد منا على حدة.

وهل أبلغ من إرسال الوحي بأعظم رسالة من عند الخالق على لسان نبي أمي لا يعرف الكتابة ولا القراءة.

وهل كان أتباع رسول الله ﷺ الذين ورثنا عنهم كتاب الله وسنة رسوله هل كانوا من المتخصصين ؟ ... أم أن كتاب الله فهموه بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ؟ ... وهل أبلغ من قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (القمر ٠٢٢)

﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾ : أي طالب علم، فيعان عليه من لدن الرحمن الذي علم القرآن، وعلم البيان وعلم الإنسان ما لا يعلم .....

مثال للتفسير بالرأي

وحتى لا يكون كلامي هذا عن التفاسير غير ملموس فسأضرب لكم مثلا واحدا من مئات الأمثلة التي تذكر في كتب التفاسير المختلفة :

مثال لذلك قول الله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل ٠٩٧)

فهذه الآية الكريمة واضحة المعنى من الناحية اللغوية، وليس هناك اختلاف في معنى كلمة من الكلمات، أو مشكلة تتعلق بالإعراب، أو أسباب النـــزول، أو الناسخ والمنسوخ، والبلاغة، وخلافه من القواعد التي فرضها العلماء على المفسر بالرأي.

ولكن كيف فسروا قول الله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ لتفسير الحياة الطيبة انقسم المفسرون إلى ثلاث فرق :

الفريق الأول :

– لأحد المفسرين في عصرنا الحاضر يقول : يبدو لنا أن تفسير الحياة الطيبة هنا الحياة الدنيوية – أرجح لأن الحياة الأخروية جاء بـــها بعد ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، فلو فسرنا الحياة الطيبة بالحياة الأخروية لكان في الآية الكريمة ما يشبه التكرار ولكننا لو فسرناها بالحياة الدنيوية لكانت الآية مبينة لجزاء المؤمنين في الدارين .

- ابن كثير : قال: هي "الراحة من أي جهة كانت".
- ابن عباس : قال: " الرزق الحلال "
- علي بن أبي طالب : قال: " القناعة "

الفريق الثاني :

قال شريك : "هي حياة تكون في البرزخ".

(أي منذ الموت حتى قيام الساعة)

الفريق الثالث :

قال الآلوسي : "هي حياة في الجنة".

وقال الحسن : "لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة".

سبعة مفسرين " للحياة الطيبة " والنتيجة ثلاثة تأويلات مختلفة :

١ - حياة طيبة في الدنيا (الحياة التكليفية من الخلق حتى الموت)

٢ - حياة طيبة في البرزخ ؟ (الحياة الثانية من الموت حتى البعث)

٣ - حياة طيبة في الجنة (الحياة الآخرة بعد الحساب)

والتساؤل هنا ...

- **هل يمكن أن تحمل الآية الواحدة أكثر من معنى أو تأويل ...؟**
- **هل يمكن أن يكون كتاب الله (حاشى لله ...) غير مبين ...؟**

أبدا .... أبدا ... إذن فلماذا اختلفوا ... ؟

وما المخرج لهذا المشكل وكيف نحل لغز التفسير ...؟

الجواب :

١) اختلفوا لأن تفاسيرهم كانت بآراء شخصية غير مدعمة بحجج من الكتاب والسنة ...

٢) لم يخطر ببال أحدهم الاستنارة بالقواعد العامة لقانون الله في آيات أخرى.

٣) لم يخطر ببال أحدهم تفسير القرآن بالقرآن بتطابق الآيات بعضها لبعض

طرق التفسير الصحيحة

إذن فكيف نفسر هذه الآية الكريمة؟ :

هناك مسلكان لذلك :

المسلك الأول :

أن نكون على بينة بالقواعد العامة لقانون الله في الابتلاء والامتحان والجزاء على العمل الصالح في جميع آياته البينات لذلك، والتي على ضوئها يتضح الأمر ...

المسلك الثاني :

شرح القرآن بالقرآن، أي أن هناك آيات أخرى تفصل لنا المقصود بالحياة الطيبة كجزاء للمؤمن الصالح.

وباتباع أحد المسلكين لا يمكن أن نختلف أو نتردد في التفسير الصحيح والتأويل الواضح للآية الواحدة ....

وبهذه الطرق المبسطة يستطيع أي مؤمن عادي أن يدركها بمجهوده الشخصي ....

المسلك الأول : قانون الله في آياته البينات

إنه سبحانه وتعالى يبتلي الناس بالسراء والضراء في حياة التكليف . فيرزق الخلق بغير حساب سواء للكافرين أو للمؤمنين.

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾ ﴾

(الإسراء ٢٠-٢١)

ويبتليهم كذلك بالحرمان سواء للكافرين أو المؤمنين، فالكافرون مهما عملوا

من خيرات ومهما صبروا على البلاء والحرمان فأعمالهم كسراب يكافئهم الله عنها في حياة التكليف، وليس لهم عند الله من أجر على ذلك.

أما المؤمنون فيعملون الخيرات ولا ينتظرون عليها أجرا في حياة التكليف.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإنسان ٠٠٩)

ويصبرون على البلاء والحرمان راضين بقضاء الله وكل رجائهم في الله أن يجازيهم عنده، أي عند انتقالهم بالموت من الحياة التكليفية (الأجل) إلى حياة الجزاء المؤقت (الأجل المسمى عنده) ثم إلى الحياة الآخرة (بعد الحساب).

لذلك قال الله تعالى فيما سبق هذه الآية:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (النحل ٠٩٦)

فالمؤمن الصالح يطلب من الله الخير والرزق والجاه في حياة التكليف، لأن الله كريم يرزق من يشاء بغير حساب .

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

(الإسراء ٠٢٠)

ولكنه لا يطلب أجر عمل صالح قام به، أو أجر صبره على بلاء ابتلاه الله به، بل يدخر جزاءه عند الله:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود ٠١٥-٠١٦)

إذن فالجزاء للمؤمنين يكون دائما عند الله، أي بعد الموت:

- في الحياة الدنيا (من الموت إلى البعث).
- في الحياة الآخرة (بعد الحساب).

لذلك يقول الله تعالى :

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (النساء ١٣٤)

الثواب : هو الجزاء على الأعمال الصالحة.

فمن كان يريد جزاء عمله الصالح معجلا فيجازيه الله على أعماله الصالحة قبل أن تنتهي حياته وليس له عند الله شيء.

أما من عمل صالحا لوجه الله لا يريد عليه ثوابا معجلا وهو مؤمن فعند الله يناله ثوابا مؤقتا والدنيا ما زالت قائمة (من الموت إلى البعث) = ثواب الدنيا.

ثم يناله ثوابا أبديا بعد نــهاية الدنيا والحساب = ثواب الآخرة.

مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة ٢٠٠-٢٠٢)

حتى نفهم هذه الآيات الكريمة يجب أن نفرق بين عطاء الله وجزاء الله.

عطاء الله : يطلبه المؤمن والكافر، فيهبه الله بلا حدود كيف يشاء ولمن يشاء،

فهو إذن عطاء لمن يعمل صالحا أو طالحا سواء:

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

(الإسراء ٠٢٠)

وهذا العطاء هو ابتلاء من الله للمؤمن كيف يتصرف به: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (التكاثر ٠٠٨)

ونقمة للكافر ليزداد إثما: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

(آل عمران ١٧٨)

جزاء الله : هو ثواب وأجر على الأعمال الصالحة.

ولما كان دخول الجنة والنار يقدر ويحدد بموازين الأعمال الصالحة، فالكافر إذا عمل خيرا في حياته التكليفية جزاه الله عليه معجلا في حياته التكليفية، ويموت وليس له عند الله أجر أو ثواب فيدخل النار.

أما المؤمن إذا عمل خيرا في حياته التكليفية، وطلب من الله تعجيل الجزاء عليه بأن يقول مثلا :

(اللهم بحق ما فعلت كذا ... وكذا من الخير ... هبني كذا .. واعطني كذا ... أو نجني من كذا ...) يكافئه الله في حياته التكليفية وليس له عند الله شيء مدخر أما من فعل الخير لوجه الله لا يريد عليه جزاءً ولا شكورا فجزاؤه مدخر، عند الله ومضاعف أي في حياته الدنيا الكبرى (من الموت حتى البعث) ثم في حياته الآخرة بعد البعث والحساب، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ

خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (البقرة ٢٠٠)

هذا الفريق من الناس لا يطلب عطاء الله ورزقه بل يطلب جزاء أعماله الصالحة معجلة له في حياة التكليف لذلك فليس له في الآخرة من خلاق .

وقوله الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (البقرة ٢٠١)

أما هذا الفريق : فيطلب جزاء أعماله الصالحة عند الله سواء:

في الدنيا (الحياة الدنيا الكبرى بعد الموت) قبل نـــهاية الدنيا والبعث.

أو في الآخرة (الحياة الأبدية) بعد نـــهاية الدنيا والحساب.

فهذا الفريق له نصيب مما كسب لأنه ادخر جزاء أعماله الصالحة عند الله.

ومن هنا نستنتج من قول الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل ٠٩٧)

إن قوله تعالى ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ تعني: نحييه بعد الموت حياةً طيبةً عند الله ونجازيه بأحسن جزاء.

المسلك الثاني : التطابق بين الآيات

(أي تفسير القرآن بالقرآن)

فالآيات البينات الآتية تبين لنا أن الأعمال الصالحة للمؤمن في الدنيا جزاؤها

مضاعف عند الله، سواء منذ موته حتى قيام الساعة، ثم في الدار الآخرة بعد الحساب. والتطابق بينها في هذا المفهوم بين وواضح.

(سورة النحل : ٩٧)	(سورة النساء : ١٣٤)	(سورة البقرة: ٢٠٠-٢٠١)
	يقابلها	يقابلها
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (أي عمل صالحا ويريد ثوابه عاجلا)	﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾
[التطابق هنا هو العمل الصالح في الحياة الدنيا الأولى]		
﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾	﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾
[التطابق هنا هو الجزاء على الأعمال الصالحة عند الله، أي في الحياة الدنيا الثانية، وفي الآخرة للمؤمن الذي ادخر أجره عند الله]		

ومن ذلك نستنتج أن قول الله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ يعني أن الحياة الطيبة هذه تكون عند الله ، أي في الجياة الدنيا الكبرى وفي الدار الآخرة، وليست

في الدنيا الصغرى دار الحياة التكليفية والابتلاء، وإلا كما رأينا فمن أخذ جزاءه معجلا فليس له عند الله شيء :

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ (النحل ٠٩٧)

أي أن هذه الحياة الطيبة هي أجرهم على ما كانوا يعملون من الصالحات في الماضي في الحياة الدنيا الصغرى.

ومن فسر أن الحياة الطيبة تكون في الحياة الدنيا الصغرى فقد تعارض مع قول الله تعالى :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١) ﴾ (القصص ٠٦٠-٠٦١)

أي: من أخذ أجره في الدنيا الصغرى فليس له عند الله شيء.

ولنتأكد من ذلك، ننظر إلى قوله تعالى في سورة يونس: الآيات ٦٢ - ٦٤:

الآية	الشرح
﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)	من رضي الله عنهم وكانوا في الماضي في حياتهم الدنيا الأولى يتقون
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴾	تبشرهم الملائكة في حياهم الدنيا الثانية وفي حياهم الآخرة بعد الحساب.

وقوله تعالى في سورة فصلت: الآيات ٣٠ - ٣٢:	
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾	في حياهم الدنيا الأولى
﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾	عند موهم
﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	وتطمئنهم الملائكة بما ينتظرهم وتبشرهم الملائكة بالجنة
﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾	وبأنهم سيتولون أمرهم في حياتهم الدنيا الثانية وكذلك في الآخرة
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	لتلبية طلباتهم بأمر من الله

فقول الله تعالى هنا: ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ يوضح لنا أن المقصود بالحياة الدنيا هو الحياة الدنيا بعد الموت، أي حياة الجزاء المؤقت والدنيا ما زالت قائمة.

لأن الملائكة تتنزل وتخاطب وتبشر المؤمنين عند موتهم، أي بعد نهاية حياتهم الدنيا الأولى، تبشرهم بالجزاء الذي ينتظرهم مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ ﴾ (النساء ١٣٤)

﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ﴾ توضح الجزاء بعد الموت في الدنيا أولا ثم في الآخرة.

ومن ذلك نستنتج أن المقصود بالحياة الطيبة كجزاء للأعمال الصالحة يكون عند الله أي في الدنيا الكبرى وفي الدار الآخرة.

لذلك يتذكر أصحاب الجنة في الدار الآخرة ما كانوا فيه من نعيم مؤقت في الدنيا الكبرى مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾

(البقرة ٠٢٥)

فكُلّما رزقهم الله من ثمار الجنة في الدار الآخرة تذكروا هذه الثمار نفسها التي رزقهم الله بــها في حياتــهم الدنيا الكبرى، فكلا الثمار متشابه: بعضها ببعض، أما ثمار الدنيا الصغرى فيختلف طبعا عنه، بل وربــما كانوا محرومين منها في حياة التكليف، فالتشابه هنا إذن بين الجزاء المؤقت والجزاء الأبدي.

ملحوظة :

يجد القارئ في تفسير قول الله تعالى :

﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ (النحل ٠٩٧)

الإطالة والتفاصيل المختلفة، ولم يكن ذلك لأن التفسير يتطلب كل هذه الحجج والبراهين ولكن كان المقصود تفنيد التفاسير المختلفة بالرأي وتأكيد صحة تفسير القرآن بالقرآن.

ولما كان الخطأ ينبني عليه أخطاء متتابعة فالصواب ييسر فهم وتفصيل آيات كثيرة.

الاجتهاد

الاجتهاد نوعان :

- اجتهاد في تفسير كتاب الله وآياته.
- اجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية.

(١) الاجتهاد في تفسير كتاب الله وآياته

هذا الاجتهاد لا يكون بالرأي أبدا كما وضح ذلك رسول الله ﷺ في أكثر من حديث صحيح، بل يكون في البحث في آيات الله لتفسير وتأويل القرآن بالقرآن، أي بتطابق الآيات. ويستمر هذا البحث في الآيات المتشابهات جيلا بعد جيل حتى يأذن الله تبيان آياته المتشابهات فتصبح محكمات لأنه سبحانه وتعالى جعل: " لكل نبأ مستقر "

والمجتهد يستعين في ذلك بأحاديث الرسول ﷺ الموضحة لذلك والتي لا تتعارض مع القواعد العامة لشرع الله تجنبا للإسرائيليات.

وقد يسر الله لنا ذلك حيث قال جل من قائل :

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ (هود ٠٠١)

إذن فالله سبحانه وتعالى هو الذي يفصل ويفسر آياته بآيات أخرى وهذا هو مجال المجتهد لتأويل آيات الله، أي الالتزام التام بشرح القرآن بالقرآن، مستعينا بالسنة النبوية كما وضحنا ذلك، أما عن إجماع العلماء بالرأي في هذا المجال فهو حرام أصلا لأنه على كل حال تأويل بالرأي لكلام الله دون حجة أو برهان.

رب قائل يقول :هل يحق لشخص عادي تفسير القرآن، أم يلزم عرض كل

تفسير على مجمع العلماء والخبراء ليجيزوا صحة التفسير ...؟

الجواب :

سواء كان التفسير لشخص عادي أو متخصص أو عالم أو هيئة علمية مرموقة فإن القارئ لهذه التفاسير يجب أن يميز بين التأويل بالرأي، والتأويل بالحجة والبرهان، فتفسير القرآن بالقرآن وتدعيمه بالسنة هو الميزان الوحيد الذي يجعل التفسير مقبولا أو مرفوضا مهما كان مصدره، وكما قلنا من قبل حتى لو اتفق العلماء على رأي ما في تفسير القرآن دون حجة أو برهان، فالتأويل كذلك غير مقبول ولأنه تفسير بالرأي فيمكن في جيل من الأجيال أن يأتي مجموعة أخرى من العلماء ليتفقوا على رأي آخر مخالف للرأي الأول فتحدث حينئذ البلبلة والفتنة في تفسير آيات الله ... لأن ذلك غير مدعم بحجة أو برهان من الكتاب والسنة، ولا يكفي أن يكون التفسير لشخص مرموق أو موثوق به حتى يكون مقبولا.

وحتى أكون دقيقا أذكر قول الإمام ابن جرير الطبري ما نصه :

" ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القول فيه برأيه . بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه، فمخطئ فيما كان من فعله بقوله فيه برأيه لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرم الله – جل ثناؤه – ذلك في كتابه على عباده فقال:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣ ﴾ (الأعراف ٠٣٣)

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا بيان رسول الله ﷺ الذي

جعل الله إليه بيانه ، قائل بـــما لا يعلم وإن وافق قوله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه؛ لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به."(انتهى)

وهنا نتساءل: عن أي علم يقصدون ...؟

فلو قلنا المقصود بالعلم:

- اللغة والبيان والبلاغة والناسخ والمنسوخ وأسباب النـــزول ...الخ

فكما رأينا من قبل أنه رغم دراية العلماء الكاملة لهذا العلم اختلفوا في تأويل وتفسير كثير من الآيات.

وكما قلنا من قبل أن الرسول ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - كانوا أكثر دراية وعلما بـــهذه الأمور، ومع ذلك ظلت الآيات المتشابـــهات لا يعلمها إلا الله، وقلنا لأن الله جعل لكل نبأ مستقر فهو سبحانه وتعالى الذي يُعَلِّمُ القرآن ويُعَلِّمُ البيان.

وبذلك ينحصر العلم في الاجتهاد لتفسير القرآن بالقرآن وتقديم الحجة والبرهان لتأويل آيات الله.

ولأن الله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم فالعلم هنا شتى أنواع المعرفة في العلوم المختلفة، والتي تفسر لنا آيات متشابـــهات جيلا بعد جيل ليزداد إيمان المسلمين وحجة وبرهان لغير المسلمين بأن القرآن كتاب الله منـــزل من رب العالمين وإعجازه يظل أبد الآبدين.

لذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(الأعراف ٥٢)

﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ

بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ (النساء ١٦٦)

فالعلم هنا هو الاكتشافات العلمية التي تظهر جيلا بعد جيل، وتُفَسر لنا آيات الله المتشابـــهات، والتي لم يكن إدراكها ممكنا قبل هذه الاكتشافات مهما كان علمنا باللغة والبلاغة والفقه والسنة والناسخ والمنسوخ.

وكل هذا بحثا واتباعا لتفصيل الله لآياته وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ وتجنبا للتفسير بالرأي الذي أباحه العلماء بحجة أن لديهم العلم الذي يسمح لهم بالتأويل.

فاختلفوا وظهرت الفتنة في تفسير كتاب الله – عز وجل – وجعلوا من القرآن العربي المبين وآياته البينات – كما قال الله تعالى – جعلوه في صورة معقدة للفهم والإدراك وادعوا أن هذا علم التأويل وفن التفسير ... حتى أنـــهم فسروا القرآن كلمة ...كلمة ... وآية ...آية، فباعدوا بين المعاني وأضاعوا كثيرا من الحقائق التي كان من الممكن إدراكها بالتقارب بين الآيات وتطابقها. فكما جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ ص ٣٤): "فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي .." . وذكر القرطبي مثلا لذلك (أن قوله تعالى ﴿.. وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ .. ﴿٥٩﴾ (الإسراء ٥٩) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم) انتهى.

فنجد أحيانا بعض المفسرين يدعمون تأويلهم للآية بآيات أخرى لمجرد تماثل بعض الكلمات في الآية دون توضيح التطابق بين الآيات والذي هو الدليل على تفسير القرآن بالقرآن فيظل التفسير بالرأي هو الغالب على الآية .

والرسول ﷺ لم يقل في حديثه الشريف:

" **من قال في القرآن برأيه بغير علم** " [1] حتى نجيز القول بالرأي بالعلم . بل نـــهى تماما عن القول بالرأي .

إذن فينحصر المسموح به في العلم هو - كما قلنا من قبل - الحجج والبراهين من الكتاب والسنة والعلوم المختلفة لشتى المعرفة، وهذه عناصر ثابتة لا دخل للرأي فيها ولا يختلف فيها اثنان .

وخلاصة للقول :

فالراسخون في العلم يفسرون القرآن بالقرآن، ويدعمونه بأحاديث الرسول ﷺ التي لا تتعارض مع قانون الله في آياته تجنبا للإسرائيليات ويدعمونه كذلك بـــما جد في العلوم الحديثة من اكتشافات فإن لم يجدوا يقولون:

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ (آل عمران ٧٠٠)

لأن الله تعالى هو الذي يعلم القرآن، ويعلم البيان ويعلم الإنسان ما لم يعلم.

عندما نرفض أي تفسير بالرأي غير مُدَعَّمٍ بحجج من كتاب الله وسنة رسوله فتفسير القرآن يبقى مصونا ومُحَافَظًا عليه من تضارب الآراء.

والقارئ العادي لكتاب الله يشارك في البحث عن الحجج والبراهين؛ ولأنه ملتزم بتفسير القرآن بالقرآن سيتبين له التفسير المقبول وغير المقبول، ولا يرجح التأويل أنه من فلان ... أو فلان ... بل يرجحه ما قدمه من حجج وبراهين؛ لأنه في النهاية الله سبحانه وتعالى هو الذي يفصل لنا آياته تفصيلا.

---

[1] الترمذي، رقم ٢٩٥٠ ،وقال: حسن صحيح.

وإني لأرجو من الله تعالى ألا يظهر الإسلام في عصرنا هذا بالمظهر الذي تنبأ به رسول الله ﷺ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"يظهر الإسلام حتى يختلف التجار في البحر، وحتى تخوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرأون القرآن، يقولون: (من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ من أفقه منا؟)". ثم قال لإصحابه "هل في أولئك من خير؟". قالوا الله ورسوله أعلم، قال: "أولئك منكم من هذه الأمة، أولئك هم وقود النار."** [1]

(٢) الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية:

وهذا النوع من الاجتهاد له شروط.

سأل علي - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ :

يا رسول الله الأمر ينــــزل بالناس لم ينــــزل فيه قرآن و لم تمض فيه سُنَّة ...؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

" اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى ولا تقضوا فيه برأي واحد." [2]

إذن فالأمر هنا يتعلق باستنباط الأحكام الشرعية، ولا ينظر فيه بالرأي إلا بعد التأكد بأنه لم ينــــزل فيه قرآن و لم تمض فيه سنة.

وفي هذا الإطار فالمجتهد يلتزم بقواعد وأصول الفقه ولأن الأمر يستلزم استنباط الحلال والحرام وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، فالتخصص فيه واجب، والرجوع للمتخصصين أوجب، لأنــــهم قضاة الأمة ومرجعها .

وبذلك أكون قد عبرت تماما عما أصبوا إليه من توضيحٍ للأمور في أهمية

[1] رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩١/١): " رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار موثقون".

[2] جامع بيان العلم لإبن عبد البر (جزء ٢ ص ٨٥٣).

مراجعة التفاسير المختلفة لكتاب الله عز وجل.

فإما أن يكون لتفسير الآية تأويل واحد مدعم بالحجج والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله، أو السكوت تماما دون بلبلة الأفكار بالآراء الشخصية مهما كان مصدرها.

ولأن قول البشر قابل للخطأ والصواب قال الإمام مالك :

" إن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ﷺ ".

وقال الإمام الشافعي :

" إذا قلت قولاً وصح الحديث بخلافه فاضربوا برأيي عرض الحائط ".

إن ما ذكرته آنفًا لا يعني أن كتب التفاسير جُلّها خاطئة، وأن السادة العلماء والمفسرين لم يبلوا البلاء الحسن في توضيح آيات الله؛ لأننا كما نعلم أن معظم آيات الله واضحة للجميع ....

وما قصدته هو التذكير والتنبيه لما يلجأ إليه المفسرون أحيانًا بإبداء الرأي المحرّم في تفسير آيات الله ....

ووضحت أنه لا داعي لذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى يَسَّر لنا الأمر ووضح لنا المسألة.

شروط التفسير

المفسر يجب عليه أن يلتزم بالشروط الآتية :

أولاً :بمراجعة علاقته مع الخالق، والتقرب إليه حتى يكون عونًا وملهمًا ونورًا يفتح قلبه فيدرك المعاني بجلاء ووضوح.

ثانيًا : أن يعتمد على تطابق الآيات بعضها ببعض، وبذلك يتجنب الخروج عن الطريق المستقيم ويقارن أحاديث الرسول ﷺ الموضحة لهذه الآيات.

ثالثًا : أن يدرك تمامًا الطريق السَّوِيِّ الذي اتبعه ابن عباس - رضي الله عنهما - المبين من قبل.

رابعًا : أن يراجع آراء المفسرين كافة حتى يدرك تمامًا مدى صوابه في الفهم، ومدى خطأ المفسرين في ذلك أو العكس

وأخيرًا : أن يستخير الله، وسيجد ذلك هينًا؛ لأن الله سخر ملائكة كرامًا لكل من أراد أن يستنير من آياته البينات مخلصًا لوجه الله وحبًّا لطاعته فهو وحده ولا أحد سواه:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

(الرحمن ٠٠١-٠٠٤)

(صدق الله العظيم)

كلمة الختام

أحببت جعل كلمة الختام نداءً ودعوة للسادة العلماء الأجلاء في كل فنون العلم والمعرفة أن يجتمعوا على كلمة سواء بينهم، ويضعوا الأيدي في الأيدي، وأن يفتحوا باب إعادة تفسير القرآن بالقرآن، وأن ينصتوا لكل نداء بإمعان، لأن الأمر هام والكتاب كتاب الله.

فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقوم شخص بمفرده بتفسير القرآن أو تجميع الآراء لبلبلة أفكار الناس وضياعهم بين شتى الأفكار المختلفة، حتى أظهروا كتاب الله في غير صورته وآياته البينات على غير ما أراد الله.

كتاب مبين، وآيات بينات، وتفاسير مختلفة، وأفكار متضاربة وكل هذا يسمونه علم تفسير وفن تأويل وشطارة لغوية، والأمر أهون من ذلك بكثير، ولا يحتاج إلا لنور في القلب وصفاء نية وسعة صدر وتواضع لله والالتزام بتأويل القرآن بالقرآن.

اللهم إن هذا قدري أن أبين للناس ما ظهر لي من الحق وأنت أعلم بما تكنه نفسي وأنت خير رقيب وخير حسيب، فإن أصبت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر واحد.

اللهم افتح بيني وبين قومي بالحق إنك أنت الفتاح العليم.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا ...

اللهم أنرنا بقرآنك وافتح قلوبنا لآياتك ويسر لنا التأويل.

واجعلنا من الناصحين لك ... ولكتابك ... ولرسولك ... ولسائر المسلمين

اللهم آمين ... وآخر دعوانا ... أن الحمد لله رب العالمين ...

والله أعلم من قبل ومن بعد ... والسلام على من اتبع الهدى.

الفهرست

المقدمة ٢

الحيـاة الدنيـا الصغرى والكبرى ٣

الحياة الدنيا الصغرى والكبرى ٤
الحكمة من معراج الرسول ﷺ ٧
اطلاع الرسول ﷺ على مظاهر الحياة الدنيا الكبرى ١١
رؤيا الرسول ﷺ قبل الإسراء والمعراج ١٤
البرزخ والحجر المحجور ١٧

حقيقـة الموتة الواحدة و الموتتين ٢٩

الخلق، والإحياء، والموت ٣٠

موتة واحدة لمن رضي الله عنهم ٣٣

موتتان للذين اجترحوا السيئات ٣٥

هل لنا نشأة في عالم الذر ٤٠

الانتقال من الحياة الدنيا الصغرى للحياة الدنيا الكبرى ٥٥

القضية الكبرى في تفاسير كتاب الله عز وجل ٦١

التفاسير ٦٢
مثال للتفسير بالرأي ٧٧
طرق التفسير الصحيحة ٨٠

الاجتهاد ٨٩
شروط التفسير ٩٦

كلمة الختام ٩٧

إصدارات للمؤلف:

١-السبع اللآلِيء القرآنية (في الخلق والنشأة والبعث)

٢-حقيقة الأمة الوسط وفواتح السور القرآنية

٣-حقيقة الأمة الوسط – شرف الله قدرها (طبعة ثانية)

٤-الحياة الدنيا الصغرى والكبرى – حقيقة البرزخ والموتتين

٥-كشف السر في فاتحة الكتاب وفواتح السور القرآنية

يصدر قريبا للمؤلف:

- القضية الكبرى في تفاسير كتاب الله عز وجل

عنوان موقع المؤلف والكتب على الإنترنت:

www.islamnewview.com

البريد الإلكتروني للمؤلف:

wagdy@islamnewview.com

هذا الكتاب

هو بحث في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن الحياة الثانيــة منــذ الموت حتى البعث، وتصحيح المفهوم الخاطىء عن البرزخ والموتتان الذي جعلهما الله عقابًا للعاصين في الحياة الدنيا الكبرى، وإلقــاء الضوء على الحكمة الإلهية من معجزة الإسراء والمعــراج، والــتي جعلها الله لتذكير العالمين بهذه الحياة بعد الموت. ونداء للــسادة العلماء بالتقيد بتفسير القرآن بالقرآن ليظهر الله لهم أسراره ...

المؤلف

وجدي حسن سري